رِسالة في الرَّدِّ عَلَى مُنْكِرِي بَعْثِ الأَجْسَادِ

تَأْلِيفُ

قَاسم بن محمَّد بن أحمد بن عبد الملك بن مخلص

رحمه الله تعالى

من علماء المغرب في القرن التاسع الهجري

تحقيق ودراسة

د. محمَّد باكريم محمَّد باعبدالله

الأستاذ المشارك بقسم العقيدة

بكلية الدعوة بالجامعة الإسلامية

مقدمـة

الحمد لله ، له الحمد في الآخرة والأولى وإليه النشور ، وأشـهد أن لا إلـه إلا هو ، وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كـل شيء قـدير ، يحيي ويميت ويبعث من في القبور .

وأشهد أنَّ نبيِّنا محمّدًا عبده ورسوله ، وخيرته من خلقه ، وخليلـه ، بعثـه الله بين يدي الساعة بشيراً ونذيراً. اللهم صلِّ عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً . **وبعد** :

فهذه رسالة لطيفة ، أحسب أنها في موضوعها نافعة مفيدة، تتحدث عـن قضية بعث هذه الأجساد بأعيانها بعد موتهـا ، فتحشرـ وتحاسـب، ثـم هـي التي تُنَعّم بعد ذلك أو تُعَذّب، إذ هـي التـي أطاعـت في الـدنيا أو عصـت، وهي التي آمنت بالله ورسوله أو كفرت ، وهي التي في الخير سـعت ، أو في الشر والخَنا وقعت ورتَعت .

فقد عوّل مؤَلِّفها رحمه الله على نصوص الكتـاب والسُـنَّة ، مسـتدلاً بهـا على إثبات البعث بعد الموت بوجهٍ عامّ ، وعلى بَعْثِ هـذه الأبـدان بـذاتها ، رادًّا بذلك مزاعِمَ من ذهب إلى أنَّ المبعوث يوم القيامة إنما هو أبدان أجسـام أخرى، غير هذه التي كانت في الدُّنيا .

وقد رأيت إخراجها من خزائن المخطوطات ، ونشرها، ليَعُمَّ النَّفْع بها .

وقد قدَّمت بين يديها دراسةً موجزة، تحدَّثتُ فيها عن وجوب الإيمان باليوم الآخر ، واهتمام الكتاب والسُنَّةِ به، وذِكْرِ شيءٍ من مظاهر هذا الاهتمام وأسبابه .

ثُمَّ ذكرتُ أنواع الأدلَّة على البعث ، وأصناف المنكرين له ، المُكَذِّبين به ، وأعظم شُبَهِهم ، وبيان مسلك القرآن في إبطالها ودحْضِها .

ثُمَّ عرَّفت بالرسالة وموضوعها ، وتحدَّثْتُ عن النُّسْخَة التي اعتمدت عليها ، وختمتُ هذه الدراسة ببيان عملي في تحقيق هذه الرسالة وخدمتها .

أسأل الله التوفيق والسداد في القول والعمل ، وأن يُقيلَ العَثْرَة ، ويعفو عن الزّلة ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين . وصلّى الله وسلَّم وبارك على عبده ورسوله نبيِّنا مُحَمَّدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين .

كتبه

محمَّد باكريم محمَّد باعبدالله

المدينة النبوية

تمهيد

في الإيمان باليوم الآخر ، والبَعْثِ بعد المَوْت والتعريف بالمؤلف والكتاب

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : في وجوب الإيمان باليوم الآخر ، وعناية الكتاب والسنة به .

المبحث الثاني : في وجوب الإيمان بالبَعْثِ وإثباته والرَّدِّ على مُنْكريه .

المبحث الثالث : التَّعريف بالمؤلِّف والكتاب .

المبحث الأول : الإيمان باليوم الآخر :

- **مكانة الإيمان باليوم الآخر في العقيدة الإسلامية :**

الإيمان باليوم الآخر ، ركن من أركان الإيمان ، التي لا يُعَدُّ المرء مؤمناً إلاَّ إذا استكملها وآمن بها .

وقد دلَّ على وجوب الإيمان بهذا اليوم : الكتاب ، والسنَّة ، وإجماع الأُمَّة:

- **فأمَّا الكتاب** ، فقد ذكر الله عزَّ وجلَّ وجوب الإيمان باليوم الآخر ، وأشار إلى كفر وضلال من لم يؤمن به .

فقال جلَّ وعلا : ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ ﴾ [1].

وقال عزَّ وجلَّ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ﴾ ﴿ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴾ [2] .

ووصف المؤمنين به بأنهم أهل هداية وتقوى وفلاح ، فقال جلَّ وعلا :
﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ

---

(١) سورة البقرة ، آية : ١٧٧

(٢) سورة النساء ، آية : ١٣٦

وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [1] .

- **وأمَّا السُنَّة** فالنصوص الدَّالة على وجوب الإيمان بهذا اليوم ، وكونه أحد أركان الإيمان ، وأسسه التي يبنى عليها كثيرة ، من أشهرها وأظهرها حديث جبريل المشهور ، وهو حديث طويل في بيان الإسلام، والإيمان ، والإحسان وفيه : ((**قال – أي جبريل عليه السلام – فأخبرني عن الإيمان ؟ قال : أن تؤمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشرِّه . قال : صدقت ...**)) [2] .

- **وأمَّا الإجماع** : فقد نقل الإمام ابن حزم رحمة الله عليه اتِّفاق الأُمَّة على الإيمان بالبعث والحساب وما بعده، وهما من أعظم وقائع اليوم الآخر، فقال : ((**واتفقوا أن البعث حق ، وأن الناس كلهم يبعثون في وقت تنقطع فيه سكناهم في الدنيا ، يحاسبون عما عملوا من خير وشر ...**)) [3] .

- **معنى الإيمان باليوم الآخر :**

أخرج ابن أبي حاتم ، عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما في معنى قوله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ ﴾ قال :((أي بالبعث ، والقيامة ، والجَنَّة ، والنَّار ، والحساب ، والميزان)) . [4]

---

(١) سورة البقرة ، الآيات ١-٥.

(٢) م / كتاب الإيمان ، باب بيان الإيمان والإسلام ... ١/ ٣٦ ح١.

(٣) مراتب الإجماع ص١٧٥ -١٧٦ ، نشر دار الكتب العلمية.

(٤) تفسير القرآن ١/ ٣٩ رقم ٨٢ بتحقيق د. أحمد عبد الله الزهراني .نشر الدار بالمدينة . وانظر :تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/ ٦٦ط . الشعب

وقال الإمام محمد بن نصر المروزي ، مبيّناً معنى الإيمان باليوم الآخر في حديث جبريل – عليه السلام – : ((**أن تؤمن بالبعث بعد الموت ، والحساب والميزان ، والثواب ، والعقاب ، والجنة ، والنار ، وبكل ما وصف الله به يوم القيامة**)) [1] .

فالإيمان باليوم الآخر يشمل الإيمان بالبعث ، وما بعده من أمور الآخرة، مِمَّا أخبر الله عزَّ وجلَّ به ، أو أخبر به رسوله صلى الله عليه وسلّم ؛ من الحشر بعد البعث ، والحساب ، والحوض ، والميزان ، والصراط ، والجنّة ونعيمها ، والنار وعذابها .

ومن الإيمان باليوم الآخر ، الإيمان بكل ما أخبر به النبي ﷺ مما يكون بعد الموت ؛ من فتنة القبر ، وعذابه ، ونعيمه ، كما ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمة الله عليه [2] .

كما أنه من الإيمان باليوم الآخر ، الإيمان بنهاية هذه الدنيا ، واعتقاد فنائها وزوالها .

ولذلك قال الإمام الحليمي في معنى الإيمان باليوم الآخر : ((ومعناه : التصديق بأن لأيام الدنيا آخراً ، أي أن هذه الدنيا منقضية ، وهذا العالم منتقضٌ يوماً صنعه ، منحل تركيبه)) [3] .

---

(١) تعظيم قدرة الصلاة ١/ ٣٩٣ بتحقيق: عبد الرحمن عبد الجبار ، نشر مكتبة الدار.

(٢) انظر العقيدة الواسطية بشرح الهرّاس ط، الثالثة ، نشر محمد عبد المحسن الكتبي .

(٣) المنهاج في شعب الإيمان ١/ ٣٣٦ بتحقيق حلمي محمد فودة ، ط . الأولى ١٣٩٩ هـ وفيه تحريف في بعض الألفاظ ، وتصويبه مستفاد من : شعب الإيمان للإمام البيهقي ٢/ ٥ تحقيق عبد العلي عبدالحميد حامد ، نشر الدار السلفية.

فالإيمان باليوم الآخر يشمل الإيمان بانقضاء هذه الدنيا ونهايتها ، والإيمان بالحياة الآخرة وما فيها ، وفق ما جاءت به نصوص الكتاب والسُّنَّة.

- **عناية الكتاب والسُنَّة بهذا اليوم ومظاهر ذلك :**

إنَّ المتأمِّلَ في نصوص الكتاب والسُنَّة الواردة في شأن اليوم الآخر ، يلحظ الاهتمام الكبير ، والعناية البالغة التي خُصَّ بها الإيمان بهذا اليوم ، واعتباره أحد الرَّكائز والدّعائم الأساسية التي يقوم عليها بناء الإيمان والعقيدة الإسلامية .

وفي هذه العجالة سأكتفي بالإشارة إلى أبرز أهم مظاهر هذه العناية على وجه الإيجاز ، فأقول وبالله تعالى أستعين :

- لعلَّ من أبرز مظاهر ذلك : الربط ، والاقتران الملحوظ بين الإيمان بالله عزَّ وجلَّ والإيمان باليوم الآخر في كثير من نصوص الكتاب والسُنّة ، مِمَّا يدل على مكانة الإيمان بهذا اليوم وأهميته .

وذلك كما في قوله تعالى : ﴿ **إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ** ﴾ (١) .

وقوله عزَّ وجلَّ : ﴿ **وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ** ﴾ (٢) .

---

(١) سورة البقرة ، آية : ٦٢.

(٢) سورة البقرة ، آية : ٢٢٨.

وقولـه عـزَّ وجـلَّ : ﴿ لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ﴾ [1] .

وقولـه تعـالى : ﴿ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ ﴾ [2] .

والآيات في ذلك كثيرة ، وفيما ذكرنا منها كفاية ، للدلالة على ما نـذكره من مثيلاتها.

وأمَّا السُنَّة ، فالأحاديث التي جاء فيها ذلك كثيرة أيضاً ، نورد منها على سبيل المثال : قوله ﷺ : ((**لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تسافر مسيرة يوم وليلة ليس معها محرم**)) [3] .

وقوله ﷺ : ((**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذِ جاره ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت**)) [4] .

وقوله عليه الصلاة والسلام : ((**لا يبغض الأنصار رجلاً يؤمن بالله واليوم الآخر**))[5].

---

(١) سورة آل عمران ، الآيتان ١١٣-١١٤.

(٢)سورة البقرة ، آية : ٢٣٢

(٣) خ/ كتاب تقصير الصلاة ، باب في كم يقصر الصلاة ٢/ ٥٦٦ ح ١٠٨٨ . م/ كتاب الحج ، باب سفر المرأة مع محرم ٢/ ٩٧٧ ح ٤٢٠-٤٢١ . واللفظ للبخاري.

(٤) خ/ كتاب الأدب ، باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذِ جاره ١٠/ ٤٤٥ . ح٦٠١٨ . م / كتاب الإيمان ، باب الحث على إكرام الجار والضيف ، ولزوم الصمت ١/ ٦٨ رقم ٧٥.

(٥) م / كتاب الإيمان ، باب الدليل على أنَّ حبَّ الأنصار وعلي رضي الله عنهم من الإيمان وعلاماته،

- ومن مظاهر ذلك : الإكثار من ذكر هذا اليوم وأحواله فيهما ، فقلَّما تخلو سورة من سور القرآن من ذكر اليوم الآخر باسم من أسمائه ، أو بذكر بعض أحواله ، وما يكون فيه من النَّعيم ، أو العقاب . بل إنَّ في القرآن سوراً بتمامها أُفْرِدَت للحديث عن هذا اليوم، وأحواله، وأهواله، كسورة "القارعة"، وسورة " الزلزلة "، وسورة " الانفطار"، وسورة "التكوير"، وسورة "الحاقة"، وسورة " القيامة " ، وسورة " الغاشية " وغيرها .

وفي هذا دلالة واضحة على أهمية هذا اليوم ، وعناية الكتاب العزيز به . والأحاديث في ذكر أحوال وأخبار هذا اليوم لا تحصر . وقد أفرده أهل العلم بمؤَلَّفاتٍ خاصّة ، جمعوا فيها ما ورد في السُنَّة في شأن هذا اليوم[1] .

- ومن أهم وأبرز مظاهر اهتمام الكتاب العزيز والسُنَّة النبوية بهذا اليوم كثرة أسمائه وتعدُّدها فيهما ، وكثرة الأسماء تدل على شرف المُسمَّى وأهميته ، فإنَّ العرب إذا كان الشيء ذا أهمية وخطر عندها عدَّدت أسماءه.

فالسيف لَّما كان ذا أهمية في حياتهم ، أطلقوا عليه ما يقرب من خمسمائة اسم ، وكذا الأسد أكثروا من أسمائه وعدَّدوها لمكانته وخطره[2] .

وبغضهم من علامات النفاق ١/ ٨٦ رقم ١٣٠ .

(١) مِمَّا أُلِّفَ في ذلك : كتاب " البعث والنشور " للبيهقي ، وقد طُبِعَ بعضه ناقصاً ، وقد تمَّ تحقيق الكتاب في رسالتين جامعيتين ، وفّق الله الباحثين لطبعه وإخراجه .

ومن المُؤَلّفات في ذلك : "البعث " لأبي داود ، وهو مختصر مطبوع . و" التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة " للإمام القرطبي ، وهو مطبوع أيضاً ، ومنها : كتاب "البدور السافرة في أمور الآخرة " للسيوطي ، وهو كسابقه من حيث حاجته إلى خدمة وعناية .

(٢) انظر التذكرة للقرطبي ص ٢٦٠ ، بتحقيق : أحمد حجازي السقا ، نشر مكتبة الكليات الأزهرية، ط١٤٠٠ هـ.

لذلك لَّما كان اليوم الآخر ذا أهمية كبرى ، وخطر عظيم ، تعددت الأسماء التي أُطلقت عليه في الكتاب والسُنَّة . قال الحافظ ابن حجر : ((وجمعها الغزالي ثُمَّ القرطبي فبلغت نحو الثمانين اسماً)) .

فمنها : ((يوم الجمع ، ويوم الفزع الأكبر ، ويوم التناد ، ويوم الوعيد ، ويوم الحسرة ، ويوم التلاق ، ويوم الفصل ...)) [1] .

ومنها : ((يوم البعث ، ويوم القيامة ، والحاقة ، والغاشية ، ويوم التغابن)) .. إلى غير ذلك مِمَّا سُمِّيَ به هذا اليوم العظيم ، مِمَّا يدل على حقيقته وعِظَمِ شأنه .

- **أسباب اهتمام الكتاب والسنة باليوم الآخر :**

نستطيع أن نوجز أهم أسباب عناية واهتمام الكتاب والسنة بهذا اليوم في الأمور التالية :

أولاً: كثرة المنكرين له، المكذبين به من مشركي العرب وغيرهم. وقد أفصح القرآن الكريم عن مدى إنكار الكُفَّار لهذا اليوم وتعجبهم من تقرير إتيانه، فقال جلَّ وعلا: ﴿ **وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ هَلۡ نَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ رَجُلٖ يُنَبِّئُكُمۡ إِذَا مُزِّقۡتُمۡ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمۡ لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدٍ أَفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةُۢۗ بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ فِي ٱلۡعَذَابِ وَٱلضَّلَٰلِ ٱلۡبَعِيدِ** ﴾ [2] .

لذلك أكثر القرآن من ذكر هذا اليوم والحديث عنه ، وتفصيل كثير من أخباره وأحواله .

---

(١) فتح الباري ١١/ ٣٩٦ .

وراجع عن أسماء اليوم الآخر وشرحها : التذكرة للقرطبي ص٢٦٠ – ٢٨٣.

(٢) سورة سبأ ، الآيتان : ٧-٨.

ثانياً : شدة خطر هذا اليوم ، وما يكون فيه من الأمور العظام ، الَّتِي هي خارج نطاق التَّصَوُّر البشري المحدود في هذه الدنيا ، مِمَّا اقتضى الاهتمام ، والعناية به والإكثار من ذكره لتقريره وترسيخه . يقرِّر هذا المعنى الإمام السفاريني قائلاً : ((ولَمَّا كان أمر الساعة شديداً ، وهولها مزيداً ، وأمرها بعيداً، كان الاهتمام بشأنها أكثر من غيرها ، ولهذا أكثر النبي صلى الله عليه وسلم من بيان أشراطها وأماراتها ، وأخبر عمَّا بين يديها من الفتن البعيدة والقريبة ، ونبَّه وحذَّرهم ليتأهبوا لتلك العقبة الشديدة))[1] .

ثالثاً : غفلة الخلق عن هذا اليوم ، وكثرة نسيانهم له ، وحاجتهم إلى التذكير الدَّائم به ، والتنبيه المتكرر إلى حتمية إتيانه ، وحقيقة كونه ووقوعه .

فكان في اهتمام القرآن والسُنَّة به ، وتكرار أخباره وأحداثه ، إيقاظ للغافلين ، وتذكير للنَّاسين ، فلا يفتأ النَّاس بحاجةٍ إلى التذكير بهذا اليوم ، فمن طبيعة البشر النسيان ، وتُدْرِكُهم الغفلة في غمرة الانشغال بمتاع الحياة ولذائذها .

يوضح ذلك ما أخرجه الإمام مسلم في صحيحه عن حنظلةَ الأُسَيِّدِيِّ – وكان من كُتَّاب النَّبِيِّ ﷺ – ، وقال : لقيني أبو بكر ، فقال : كيف أنت يا حنظلة ؟ قال : قلت : نافق حنظلةُ . قال : سبحان الله ، ما تقول ؟ قال : قلت : نكون عند رسول الله ﷺ يذكرنا بالنَّار ، والجنَّة ، حتَّى كأنَّا رَأْيُ عينٍ[2]، فإذا خرجنا من عند رسول الله ﷺ : عافسنا[3] الأزواج والأولاد

(١) لوامع الأنوار ٢/ ٦٥ – ٦٦.

(٢) جاء في حاشية صحيح مسلم :" قال القاضي : ضبطناه رأيُ عينٍ بالرفع ، أي كأنَّا بحالِ من يراها بعينه . قال : ويصح النصب على المصدر ، أي نراها رأي عين ، ٤/ ٢١٠٦.

(٣) المعافسة : المعالجة ، والممارسة ، والملاعبة .

والضيعات ، فنسينا كثيراً ، قال أبو بكر – فو الله إنا لنلقى مثل هذا ، فانطلقْتُ أنا وأبو بكر حتَّى دخلنا على رسول الله ﷺ ، قلت : نافق حنظلة يا رسول الله . فقال رسول الله ﷺ : (**وما ذاك ؟**) قلت : يا رسول الله نكون عندك تُذَكِّرُنا بالنَّار والجنَّة حتَّى كأنَّا رَأْيُ عَينٍ ، فإذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات ، نسينا كثيراً ، فقال رسول الله ﷺ : ((**والذي نفسي بيده إنْ لَوْ تدُومونَ على ما تكونون عندي ، وفي الذِّكْرِ ، لصَافَحَتكُم الملائكةُ على فُرُشِكُم ، وفي طُرُقِكم ، ولكن يا حنظلة ساعة وساعة ، ثلاث مرَّات**))[1] .

فإذا كان النسيان والغفلة عن الجنَّة والنَّار ، وهما دار الجزاء في اليوم الآخر، يقعان لصفوة خلق الله بعد رسله صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين ، فكيف بسائر عباد الله ، لا شكَّ أنَّ حاجتهم إلى التذكير أعظم ، لِعِظَمِ غفلتهم وذهولهم عمَّا أخبر الله به من أحوال هذا اليوم .

رابعاً : ما أصاب عقيدة البعث والإيمان باليوم الآخر من فسادٍ عند أصحاب الكتب السماوية السابقة لهذه الأُمَّة ، بسبب تحريف أتْبَاع هذه الكتب لها ، فعقيدة البعث عند اليهود والنَّصارى لحقها من التّحريف والتبديل ما ذهب بحقيقتها التي أنزلها على موسى وعيسى عليهما وعلى نبينا الصلاة والسلام .

ابن الأثير : النهاية في غريب الحديث ٣/ ٢٦٣ ، بتحقيق طاهر أحمد الزاوي وزميله.

(١) م/ كتاب التوبة ، باب فضل دوام الذكر والفكر في أمور الآخرة ٤/ ٢١٠٦ ح ٢٧٥٠.

ولَمَّا كان نبيُّنا صلوات الله وسلامه عليه ، خاتم الأنبياء فلا نبي بعده ، وقد بُعِثَ وهو والساعة كهاتين – وأشار بأصبعيه الوسطى والسبابة ﷺ – بيَّن الله عزَّ وجلَّ في شريعته من أمور اليوم الآخر وأحواله ، وكرّر ذلك وفصّل فيه ، وأزال كل شبهة ، ودحض وفنَّد أقوال مُنْكريه ، ولم يبق للخلْقِ على الله حُجَّة بعد هذا البيان والتأكيد على وقوع هذا اليوم وإتيانه .

هذا طرف من أسباب اهتمام الكتاب والسُنَّة وعنايتهما بموضوع اليوم الآخر والبعث بعد الموت ، والأسباب أكثر مِمَّا ذُكِرَت ، وليس غرضنا هنا استقصاؤها ، وفيما أشرت إليه منها كفاية للتنبيه والدلالة على مبلغ أهمية الإيمان بهذا اليوم ، وما أخبرت به الكُتُب والرُّسُل من وقائعه وأحوال النَّاس فيه .

المبحث الثاني :
الإيمان بالبعث .

وفيه :

أولا : تعريف البعث في اللغة ، والمراد به شرعاً :

أ– البعث في اللغة :

يقول ابن فارس :" بعث " : الباء والعين والثاء ، أصل واحد ، هو : الإثارة . ويقال : بعثتُ النَّاقة ، إذا أثرتها [١] .

ويأتي البعث في لغة العرب على وجهين :

أحدهما : الإرسال ، ومنه قوله تعالى : ﴿ **ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ** ﴾ [٢] معناه : أرسلناه .

والثاني : الإثارة . ومنه إثارة البارك ، تقول : بعثتُ البعيرَ ، أي : أثرته . وإثارة النَّائم ، فيقال : بعثه من نومه بعْثاً ، فانْبَعَثَ ، أي : أيقظه وأهَبَّه . ومنه قوله عزَّ وجلَّ : ﴿ **وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ** ﴾ [٣] . أي : يبعثكم ويوقظكم من منامكم .

ويأتي البعث بمعنى : الإحياء من الله للموتى، ومنه قوله ﷻ : ﴿ **ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ** ﴾ [٤] ، أي : أحييناكم [٥] .

---

(١) معجم مقاييس اللغة :١/ ٢٦٦.

(٢) سورة يونس ، آية : ٧٥.

(٣) سورة الأنعام ، آية : ٦٠.

(٤) سورة البقرة ، آية : ٥٦.

(٥) انظر هذه المعاني للبعث في : الصحاح للجوهري ١/ ٢٧٣ ، بتحقيق أحمد عبد الغفور عطار، لسان العرب ٢/ ١١٦–١١٧.

ب – المراد بالبعث في الاصطلاح الشرعي :

يقول الحافظ ابن كثير رحمه الله ، في بيان المراد بالبعث : ((هو المعاد ، وقيام الأرواح والأجساد يوم القيامة))(١) .

ويُبَيِّن ذلك الإمام الحليمي رحمه الله قائلاً : ((والإيمان بالبعث هو : أنْ يؤمن بأن الله تعالى ، يُعيد الرُّفات من أبدان الأموات ، ويجمع ما تفرَّق منها في البحار ، وبطون السباع ، وغيرها ، حتَّى تصير بهيئتها الأولى ، ثُمَّ يجمعها حيَّة ، فيقوم النَّاس كلهم بأمر الله تعالى أحياء))(٢) . وتابعه تلميذه الإمام البيهقي رحمة الله عليه (٣) .

وعبارة الحافظ ابن كثير رحمه الله على إيجازها ، أدق في بيان معنى البعث ، لأنه نَصَّ على قيام الأرواح والأجساد جميعاً ، وأنَّ ذلك يكون يوم القيامة .

وتعريف الإمامين الحليمي والبيهقي – رحمهما الله – فيه تفصيل لكيفية البعث ، وأنَّه يكون بجمع الأجزاء بعد تفرُّقها ، وسيأتي لذلك زيادة بيان ، إنْ شاء الله تعالى .

ثانياً : إثبات البعث ، وطريقة القرآن في ذلك :

لَمَّا كانت مسألة البعث بعد الموت ، وقيام الأجساد بعد تَفَتُّتِهَا وذهابها في الأرض من الأمور التي جادل فيها الكُفَّار واستبعدوها ، شأنها في ذلك شأن مسألة الوحدانية ، وإفراد الله تعالى بالعبادة ، حيث تعجَّبوا منها ، كما حكى

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٥/ ٣٩٠.

(٢) المنهاج في شعب الإيمان ١/ ٣٤٥.

(٣) انظر شعب الإيمان ٢/ ١٢.

الحق تبارك وتعالى ذلك عنهم ، فقال في شأن تعجّبهم وإنكارهم للبعث والإعادة : ﴿ قٓ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ ۝١ بَلۡ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡ فَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَيۡءٌ عَجِيبٌ ۝٢ أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗاۖ ذَٰلِكَ رَجۡعُۢ بَعِيدٞ ﴾ (١) .

وقال في شأن تعجُّبهم من إفراده بالألوهية : ﴿ وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡۖ وَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٞ كَذَّابٌ ۝٤ أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ ﴾ (٢) .

أقول : لمَّا كان الحال ما ذُكِرَ ، سلك القرآن الكريم في إثبات البعث طرقاً متعددة ، ودلَّل على وقوعه بأنواعٍ من الأدلة ، تلزم أصناف المنكرين له والمكذبين به ، فكان من أهمها وأظهرها دلالة ما يأتي :

١- من أعظم الأدلة على وقوع البعث ، ولا سيَّما للمؤمنين بالله ، المصدقين لرسوله ﷺ ، إخبار الحق تبارك وتعالى عن وقوع البعث ، وما يقع بعده من أحوال اليوم الآخر ، وهذا كثير متنوع في القرآن .

أ – فتارة يكون إخباراً مجرَّداً، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَٱلۡمَوۡتَىٰ يَبۡعَثُهُمُ ٱللَّهُ ﴾ (٣) .

ب – وتارة : يؤكد ذلك الإخبار بأداة توكيد، كقوله عزَّ وجلَّ : ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ تُبۡعَثُونَ ﴾ (٤) ، وقوله : ﴿ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٞ لَّا رَيۡبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡعَثُ مَن فِي ٱلۡقُبُورِ ﴾ (٥) .

---

(١) سورة ق ، الآيات ١-٤.

(٢) سورة ص ، الآيتان : ٤-٥.

(٣) سورة الأنعام ، آية : ٣٦.

(٤) سورة المؤمنون ، آية : ١٦.

(٥) سورة الحج ، آية : ٧.

جـ - وتارة يُقْسِم جلَّ وعلا على وقوعه وحصوله لا محالة، فيقول: ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴾ [١].

د - وتارة يأمر رسوله ﷺ أنْ يُقْسِم على وقوعه وإتيانه وكونه، كما في قوله ﷻ: ﴿ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ﴾ [٢].

قال الإمام ابن كثير في تفسير هذه الآية: ((وهذه هي الآية الثالثة التي أمر الله رسوله أنْ يقسم بربه عزَّ وجلَّ على وقوع المعَاد ووجوده، فالأولى في سورة يونس [٣]:

﴿ وَيَسْتَنبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴾.

والثانية في سورة سبأ [٤]: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ ﴾ ﴿ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ ﴾، والثالثة هي هذه)) [٥].

٢ – الاستدلال بالنشأة الأولى على البعث والإعادة:

وهذا النوع من الأدلة شرعي عقلي؛ فإن العقل السليم يدرك أنَّ إعادة الشيء أسهل من بدء خلقه وإيجاده أولاً.

والآيات التي جاءت في هذا المعنى كثيرة، منها:

---

(١) سورة مريم، آية: ٦٨.

(٢) سورة التغابن، الآية: ٧.

(٣) الآية: ٥٣.

(٤) الآية: ٣.

(٥) تفسير القرآن العظيم ٨/ ١٦٢.

- قوله تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ﴾ (١) .

- ومنها قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ﴾ (٢)

- ومنها قوله عزَّ وجلَّ : ﴿ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ ﴾ (٣) .

٣ – الاستدلال بخلق الأكبر والأعظم ، على البعث والإعادة : كما ورد في استدلال القرآن الكريم بخلق السماوات والأرض على البعث في عدة آيات منها :

- قوله تعالى : ﴿ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴾ (٤) .

وهذا النوع من الأدلة ، أدلة شرعية عقلية ، فهي إلى جانب كونها إخباراً من الحق تبارك وتعالى عن البعث ، فهي كذلك ملزمة عقلاً للمكذبين ، لو كانوا يعقلون ، فإنَّ العقل السليم لا يشك في أنَّ الذي يخلق الأعظم

---

(١) سورة يس ، الآيات : ٧٧– ٧٩.

(٢) سورة الروم ، الآية : ٢٧.

(٣) سورة الأنبياء ، الآية : ١٠٤.

(٤) سورة يس ، الآية : ٨١.

والأكبر هو أقدر على خلق ما دونه ، ولا شكَّ أنَّ البعث وإعادة الخلق بعد موتهم دون خلق السموات والأرض .

٤ – الاستدلال بإحياء الأرض بعد موتها ، على إحياء الخلق وبعثهم بعد موتهم :

وهذا دليل مُشاهَد محسوس ، يشهده الخلق في حياتهم، ويحسونه ويرون كيف يحيي الله عزَّ وجلَّ الأرضَ بعد موتها وجفافها وذهاب أشجارها وثمارها، وذلك بإنزال المطر عليها ، فإذا هي مخضرة حيَّة، فالذي أحياها بعد موتها قادر على إحياء الخلق بعد موتهم. وقد ورد عدد من الآيات الكريمة في هذا المعنى.

من ذلك قوله تعالى : ﴿ **وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ** ﴾ [(١)].

– وقوله تعالى : ﴿ **فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ** ﴾ [(٢)].

– وقوله تعالى : ﴿ **وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ** ﴾[(٣)] .

---

(١) سورة فصلت ، الآية : ٣٩.

(٢) سورة الروم ، الآية : ٥٠.

(٣) سورة الأعراف ، الآية : ٥٧.

٥ – الاستدلال بما وقع وحدث من إحياء الله بعض الموتى في الدُّنيا ، على بعث الخلق بعد موتهم يوم القيامة :

وهذا النوع دليل وقوع فِعْلِي مُلزِم لمن شاهد ذلك ، وهو دليل شرعي مُلزِم للمؤمنين ؛ لأنه خبرٌ صادقٌ مِنَ الحقِّ تبارك وتعالى . وقد قصَّ الله تبارك وتعالى علينا خبر خمس وقائع من ذلك ، كلّها في سورة البقرة .

الأولى : قصة الذين قالوا لموسى عليه السلام: لن نؤمن حتَّى نرى الله جهرة، في قوله عزَّ وجلَّ : ﴿ **وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾** ﴾ (١) .

الثانية : قصة قتيل بني إسرائيل المذكورة في قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ **وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَْٰٔتُمْ فِيهَا ۖ وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾** ﴾ (٢) .

الثالثة : قصة الذين خرجوا من ديارهم وهم أُلوفٌ حذر الموت ، في قوله عزَّ وجلَّ : ﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟ ثُمَّ أَحْيَٰهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ** ﴾ (٣)

الرابعة : قصة الذي مرَّ على قرية وهي خاويةٌ على عروشها . المذكورة في الآية ٢٥٩ من سورة البقرة .

---

(١) سورة البقرة ، الآيتان : ٥٥-٥٦.

(٢) سورة البقرة ، الآيتان : ٧٢-٧٣.

(٣) سورة البقرة ، الآية : ٢٤٣.

الخامسة : قصة إبراهيم عليه السلام ، المذكورة في قوله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَـٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ﴾[١].

ثالثاً : أصناف منكري البعث :

منكرو البعث أربعةُ أصنافٍ :

الصنف الأوَّل : قومٌ أنكروا الخالق ، والمبدأ ، والمعاد . وهم الدهرية القائلون بالطبع المُحْيِي ، والدهر المفني ، من معطّلة العرب[٢] ، وهو قول الفلاسفة الطبيعيين ، والملاحدة قديماً وحديثاً .

وهؤلاء ينبغي أن يكون الكلام معهم في إثبات الخالق أوَّلاً . وهؤلاء هم الذين جاء فيهم قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ ﴾ [٣].

الصنف الثاني : قومٌ أقرُّوا بالخالق وبدء الخلق ، لكنَّهم أنكروا البعث والمعاد ، وهؤلاء هم مشركو العرب ودهماؤهم[٤] الذين جاء فيهم قوله ﷻ:

---

(١) سورة البقرة ، الآية : ٢٦٠ .

وسيذكر المؤَلِّف هذه الآيات ، وينقل ما جاء في معناها وقصصها.

(٢) الشهر ستاني : الملل والنحل ٣/ ٧٩ بتحقيق : عبد العزيز الوكيل ، ط . ١٣٩٧هـ.

(٣) سورة الجاثية ، الآية : ٢٤.

(٤) الملل والنحل ٣/ ٨٠.

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾[١]، فهم يقرُّون بالخالق عزَّ وجلَّ ، وأنَّه خلقهم وخلق السماوات والأرض : ﴿ **وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ** ﴾[٢]. ولكنَّهم مع ذلك ينكرون البعث والحياة الآخرة، وقالوا : ﴿ **إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ** ﴾[٣].

وهم المذكورون في حديث أبي هريرة وفيه : ((**كذَّبني عبدي وليس له ذلك، وشتمني عبدي وليس له ذلك ، فأمَّا تكذيبه إياي ، فقوله : لن يعيدني كما بدأني** ...)) الحديث[٤].

وجُلُّ آيات إثبات البعث هي في الرَّدِّ على هذا الصّنْف ، كما تقدَّم .

الصنف الثالث : قالوا : البعث والحشر يكون للأرواح دون الأجساد ، وهؤلاء طوائف من الفلاسفة الإلهيين ،كابن سينا وغيره .

يقول ابن سينا : ((فالنَّفْس بعد الموت : إمَّا شقية ، وإمَّا سعيدة ، وذلك هو المعاد))[٥]، وقال أيضاً : ((فإذا بطُل أن يكون المعاد للبدن ، وبطل أن يكون للبدن والنفس جميعاً ، فالمعاد إذن للنفس وحدها على ما تقرر))[٦] .

ويرد عليهم :

أولاً : بأنَّ البعث الذي جاءت بإثباته الكتب والرسل إنَّما هو بعثُ ومعادُ الأجساد ، وردّ الأرواح إليها بعد قيامها ، وهو الذي جاء القرآن بإثباته

---

(١) سورة لقمان ، آية : ٢٥.

(٢) سورة الزخرف ، آية : ٨٧.

(٣) سورة الدخان ، آية : ٣٥.

(٤) خ/ كتاب التفسير ، باب قوله تعالى ﴿ الله الصمد ﴾ ٨/ ٧٣٩ ح ٤٩٧٥.

(٥) رسالة في المعاد ، لابن سينا ص١٠٩ – ١١١.

(٦) المصدر نفسه ، ص٩٣.

والرد على منكريه الذين استبعدوا إعادة الأجساد بعد تمزقها وتفتتها ؛ فإثباتكم لبعث الأرواح دون الأجساد ، لا يُعَدُّ إثباتاً للبعث الذي جاء القرآن بإثباته .

ثانياً : ثمّ إنَّ الأرواح لا تموت حتى تبعث على الصحيح ، بل موتها هو مفارقتها للجسد ، ورجوعها إلى خالقها ، ثُمّ عند بعث الأجساد تُرَدُّ كل روح إلى جسدها الذي كانت فيه في الدُّنيا . والله تعالى أعلم [١] .

الصنف الرابع :

طائفةٌ قالوا : إنَّ البعث والمعاد هو خلق أبدان أُخرى ، وأرواح أُخرى ، غير الأبدان والأرواح التي كانت في الدنيا . وهي التي تُنَعَّم أو تُعَذَّب في الآخرة .

وهؤلاء هم ملاحدة الجهمية . قال ابن القيم : ((وهذا قول مَنْ لا يعرف المعاد الذي جاءت به الرسل)) [٢] .

ويُرَدّ على هؤلاء من ثلاثةِ أوجهٍ :

الأوَّل : أنَّ الذين أنكروا البعث ورد عليهم القرآن ، لم ينكروا قدرته تعالى على أن يخلق خلقاً آخر في الآخرة ، وإنَّما أنكروا إعادة هذه الأجساد التي كانت في الدنيا ؛ لأنَّهم يرون الله عزَّ وجلَّ يخلق كل يوم خلقاً جديداً ، فكل يوم يولد خلق من خلق الله سبحانه .

---

(١) راجع : الروح ، لابن القيم : ١/ ٢٤٢ ، بتحقيق : بسام العموش.

(٢) الفوائد : ص٥.

فإثباتكم للبعث والإعادة على الوجه الذي ذكرتم ، وهو خلق أبدان وأرواح جديدة، ليس هو البعث الذي جاء القرآن بإثباته، والرد على منكريه.

الثاني : أنَّ النصوص من القرآن الكريم والسُنَّة المطهرة دلَّت على شهادة أعضاء الجسد على أصحابها في الآخرة بما اكتسبوه وفعلوه في حياتهم الدنيا كما قال عزَّ وجلَّ : ﴿ **ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ** ﴾ [(١)].

ولو كان البعث هو خلق أجساد وأعضاء جديدة ، لما أمكن شهادتها بما فعله الإنسان في الدنيا ، ولما قبل الإنسان شهادتها عليه ؛ لأنَّها لم تكن معه في الدنيا ؛ ولما كانت شهادتها ملزمة ومدينة له .

الثالث : إنَّ قولكم هذا ينافي عدل الله وحكمته ، إذ كيف يعذِّب الله جلَّ وعلا جسداً لم يقترف ذنباً ، ولم يقترف جرماً ، وكيف يعصاه جسد ويُعَذِّب غيره ؟!.

رابعاً : شبهة منكري البعث ، والرد عليها :

أ – الشبهة الرئيسةُ لمنكري البعث ، هي : " استبعاد إعادة أجزاء هذه الأجساد إلى حالتها التي كانت عليها في الدنيا ، بعد تمزقها وتفتتها واستحالتها إلى تراب " .

---

(١) سورة يس ، الآية : ٦٥.

ولقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الشبهة التي استند إليها منكرو البعث ، في أكثر من آية ، من ذلك :

١- قوله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ (١) .

٢- وقوله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا ﴾ (٢) .

٣- وقوله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍۭ ۚ بَلْ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ كَٰفِرُونَ ﴾ (٣) . وغير ذلك من الآيات التي نصَّت على شبهة هؤلاء الجاحدين المنكرين للبعث . وهذه الشبهة التي ارتكزوا عليها في إنكارهم هذا ، مبنيةٌ على ثلاثة أمورٍ :

الأمر الأوَّل : عدم تميُّز أجزاء وذرَّات كل بدن من البدن الآخر ، بعد استحالتها جميعاً إلى التراب ، واختلاطها به وببعضها .

الأمر الثاني : استبعاد قدرته عزَّ وجلَّ على جمع وإعادة هذه الأجزاء والذرَّات ، لما تقدَّم في الأمر الأول من اختلاطها وعدم تميُّزها . فقالوا : إنَّ ذلك غير ممكن ، وغير مقدورٍ عليه البَتَّةَ .

الأمر الثالث : عدم الحكمة في هذا البعث والإعادة والفائدة منه ، في نظرهم ، لذلك قالوا : ﴿ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴾ (٤) .

---

(١) سورة سبأ ، آية : ٧.

(٢) سورة الإسراء ، آية : ٩٨.

(٣) سورة السجدة ، آية : ١٠.

(٤) سورة الأنعام ، آية : ٢٩.

فلا حكمة في إفناء الخلق ثُمَّ بعثهم مَرّةً أُخرى ، على حَدِّ زعمهم .

ب – الرد على هذه الشبه [١] :

رداً على هذه الشبه جميعاً جاءت براهين البعث وأدلَّتُه في القرآن مبنيَّةً على ثلاثة أصول ، كُلّ أصلٍ منها يتضمَّن رداً على أحد الأمور الثلاثة التي بنى عليها المنكرون شبهتهم ، في استبعاد البعث والإعادة بعد الموت .

الأصل الأول : تقرير كمال علم الرب عزَّ وجلَّ ، وهو يتضمن الرد على الأمر الأول ، وهو قولهم بعدم تمييز الأجزاء بعد استحالتها واختلاطها بالتراب.

لذلك ذيَّل الرَّب ﷻ كثيراً من أدلَّة إثبات البعث بذكر كمال وسعة علمه سبحانه، فقال تعالى في سورة يس في معرض آيات إثبات البعث: ﴿ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [٢]، وقال : ﴿ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾ [٣] ، وقال في سورة ق : ﴿ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ ۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌۢ ﴾ [٤] ؛ قال ابن عباس –رضي الله عنهما– : " أي ما تأكل الأرض من لحومهم وأبشارهم وعظامهم وأشعارهم"، وكذا قال مجاهد ، والضحاك ، وغيرهم [٥] .

---

(١) انظر : الفوائد لابن القيم ص٦.

(٢) سورة يس : الآية ٨١.

(٣) سورة يس : الآية ٧٩.

(٤) سورة ق : الآية ٤.

(٥) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ٧/ ٣٧٣.

وهذه الآية واضحة الدلالة على كمال سعة علمه عزَّ وجلَّ، وهي في علمه بما اختلط بالأرض من أجزاء الإنسان: ﴿ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ ﴾، فأثبت علمه بكل ذَرَّة من ذرَّات البدن ذهبت في الأرض، وتمييزه لها.

الأصل الثاني : تقرير كمال قدرته سبحانه .

وفي ذلك رد على زعمهم عدم قدرته على جمع أجزاء الأبدان بعد تفتتها واختلاطها بالأرض .

وقد أشار عزَّ وجلَّ إلى كمال قدرته في كثير من الآيات الكريمة التي جاءت في إثبات البعث ، كما في قوله ﷻ : ﴿ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴾[1]، وقوله: ﴿ أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُ ۝ بَلَىٰ قَادِرِينَ عَلَىٰ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُ ﴾[2]، وقوله: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ ﴾[3]، وقوله : ﴿ إِنَّهُ عَلَىٰ رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ﴾[4]، وقوله : ﴿ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَىٰ ۚ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾[5]، وقوله : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ﴾[6]

---

(١) سورة يس : الآية ٨١.

(٢) سورة القيامة ، الآية : ٤

(٣) سورة الإسراء ، الآية : ٩٩.

(٤) سورة الطارق ، الآية : ٨.

(٥) سورة فُصلت ، الآية : ٣٩.

(٦) سورة الأحقاف، الآية : ٣٣.

الأصل الثالث : تقرير كمال حكمته سبحانه .

فقد بيَّن سبحانه وتعالى ، أنَّه يبعث الخلق بعد موتهم ، ويعيدهم أحياء، لِحِكَمٍ عظيمة ، وذلك في غير ما آية من كتابه الكريم .

ولعلَّ من أظهر هذه الحكم وأهمها :

المجازاة على الأعمال ، إذ يقتضي كمال عدله ، وحكمته تبارك وتعالى ألاَّ يستوي أهل طاعته والإيمان به ، وأهل معصيته والكفر به : ﴿ **أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًاۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ** ﴾ [1] ، ﴿ **أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ** ﴾ [2] .

وأنَّه لابُدَّ من البعث لينال كُلٌّ جزاءَ عمله ، يقول جلَّ وعلا : ﴿ **وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا** ﴾ ﴿ **قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٣﴾ لِّيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ سَعَوْ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴿٥﴾** ﴾ [3] .

---

(١) سورة السجدة ، الآية ١٨

(٢) سورة الجاثية ، الآية : ٢١.

(٣) سورة سبأ ، الآيات : ٣-٥.

ويقـول : ﴿ لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُواْ بِٱلْحُسْنَى ﴾[١] .

ومن الحكمة في البعث : أن يُبيِّن جلَّ وعلا فيه ما كانوا فيه يختلفون ، ويتبين لمنكري البعث والمكذبين به ، أنَّهم كانوا كاذبين .

يقول في ذلك جلَّ وعلا : ﴿ وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَٰذِبِينَ ﴾[٢] .

يقول الحافظ ابن كثير في تفسير هذه الآية : " ثُمَّ ذكر تعالى حكمته في المعاد وقيام الأجساد يوم التناد ، فقال : ﴿ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ﴾ ؛ أي : للنَّاس ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ ﴾ أي : كل شيء ، ﴿ لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُواْ بِٱلْحُسْنَى ﴾[٣] ، ﴿ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَٰذِبِينَ ﴾ أي: في أيمانهم وإقسامهم: لا يبعث الله من يموت ، ولهذا يُدَعُّون في نار جهنّم دعّا ، وتقول لهم الزبانية: ﴿ هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴾[٤]"[٥] .

---

(١) سورة النجم ، الآية : ٣١.

(٢)سورة النحل ، الآيات : ٣٨-٣٩.

(٣)سورة النجم ، الآية : ٣١.

(٤)سورة الطور ، الآية : ١٤.

(٥) تفسير القرآن العظيم ٤/ ٤٩٠.

خامساً : كيفية إعادة هذه الأجساد :

إنَّ معرفة كيفية بعث الأجساد والأبدان بعد موتها ، مترتِّبٌ على معرفة معنى فنائها، فمَن قال: إنَّ فناءها معناه انعدام أجزائها انعداماً كليّاً بعد موتها ، بحيث لا يبقى منها شيء ، قال : إنَّ كيفية بعثها يكون بإعادتها بعد فنائها وعدمها ، والله قادرٌ على ذلك .

ويستدل هؤلاء بقوله ﷻ: ﴿ **كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ** ﴾ [1] ، وبقوله تعالى : ﴿ **كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ** ﴾ [2] ؛ فقالوا : الهلاك والفناء هو : إعدام عين الشيء وزواله ، وإعادته تكون بخلقه وإيجاده بعد هذا الانعدام والزوال ، لعينه .

واستدلوا لذلك بقوله تعالى : ﴿ **كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ** ﴾ [3] .

قالوا : إنَّ الله ﷻ شبَّه الإعادة بالبدءِ ، ولَمَّا كان بدءُ الخلقِ إيجاداً بعد عدم، وَجَبَ أنْ تكون الإعادة كذلك .

أمَّا من رأى أنَّ معنى فناء الأبدان المذكور في النُّصُوص ، إنَّما هو تفرُّقها وتفتت أجزائها ، وذهابها في الأرض ، واختلاطها به ، قال : بعثها وإعادتها تكون بجمع ما تفرَّق من أجزائها ، وإعادة تركيبها ، ورد الأرواح إليها .

---

(١) سورة القصص ، الآية : ٨٨.
(٢) سورة الرحمن ، الآية : ٢٦.
(٣) سورة الأنبياء ، الآية : ١٠٤.

ويستدل لهذا القول بأدلَّةٍ كثيرةٍ من الكتاب والسُنَّة :

فأمَّا من الكتاب ، فمن الأدلَّة على ذلك :

١) قوله تعالى في قصة الذي مرَّ على قريةٍ وهي خاوية ، فاستبعد إعادتها بعد خرابها إلى سابق حالها وعهدها : ﴿ **أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ﴾ [1] .

فقد أفادت هذه الآية الكريمة أنَّ الله عزَّ وجلَّ أراه كيف يُحْيِي ، بعد أنْ يُمِيت ، بأنْ أراه كيف يجمع العظام بعضها إلى بعض ، وهي أجزاء حماره المبعثرة حوله ، كيف يَكْسُوها لحماً ويعيد الحياة إليها ، وكل ذلك كان من باب جَمْعِ مَا تفرَّق من الأجزاء ، وإعادته إلى صورته التي كان عليها .

٢) ومن الأدلَّة أيضاً : قوله عزَّ وجلَّ في قصة إبراهيم عليه السلام ، لَمَّا طلب من ربه أن يريه كيف يحيي الموتى : ﴿ **وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ۖ**

---

(١) سورة البقرة ، الآية : ٢٥٩.

قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (١) .

إذ دلَّت هذه الآية على أنَّ إحياء هذه الطير بعد موتها ، إنَّما كان بجمع أجزائها المتفرِّقة ، وضمِّ بعضها إلى بعض ، حيث أمَرَ الله نبيَّه إبراهيمَ عليه السَّلام أنْ يُقَطِّعها أجزاءً ، ثُمَّ يَضَع على كلِّ جبلٍ منْهُنَّ جُزْءاً ، ثُمَّ أمَرَه أنْ يدعوَها بعد ذلك ، فاجتمع كُلُّ جزءٍ من كُلِّ طَيْرٍ مَعَ الجُزْءِ الآخر منه ، ثُمَّ جاءته حَيَّةً تَسْعَى .

٣) ومن أدلَّة ذلك : قوله ﷻ : ﴿ **وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ** ﴾ (٢).

ومعلومٌ أنَّ الذي في القُبور إنَّما هو أجزاء الموتى ، بعد أنْ تَفَتَّتَت واختلطت بالتراب ، فالله عزَّ وجلَّ قادرٌ على تمييزها وبعثها وإعادتها ، ولو أنَّ الأجساد التي في القبور انعدمت بالكُليَّة ، لَمَا صحَّ أنْ يُقال : ﴿ **يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ** ﴾ ، لأنَّه عَلَى هذا لم يعد فيها أحد لانعدام الأجساد ، فلمَّا قال ذلك ، دلَّ على أنَّ الأجساد باقية في القبور ، وإن استحالت إلى صورة التراب واختلطت به .

٤) ومن الأدلَّة على ذلك أيضاً : قوله عزَّ وجلَّ : ﴿ **أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ﴿٣﴾ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّىَ بَنَانَهُۥ ﴿٤﴾** ﴾ (٣) .

(١) سورة البقرة ، الآية : ٢٦٠.

(٢) سورة الحج ، الآية : ٧.

(٣)سورة القيامة ، الآية : ٣-٤.

فقد صرَّحت الآية بجمع عظام الإنسان المتفرِّقة ، كما صرَّحت بإعادة البنان الذي أثبت العلم الحديث أنَّ لكل إنسان بصمة بنان تُميّزه عن أي إنسان آخر ، فلا يمكن أنْ يتفق اثنان منهم في ذلك .

وأمَّا الأدلة لهذا القول من السُنَّة :

فحديث أبي هريرة رضي الله عنه : أنَّ رسول الله ﷺ قال : ((**قال رجلٌ لم يعمل حسنة قط لأهله إذا مات فحرِّقوه ثُمَّ اذروا نصفه في البر ، ونصفه في البحر ، فو الله لَئِنْ قَدَرَ الله عليه ليعذِّبَنَّه عذاباً لا يُعَذِّبَه أحَدَاً من العالمين، فلمَّا مات الرجل فعلوا ما أمرهم ، فأمر الله البَرَّ فجمع ما فيه ، وأمَرَ البحر فجمع ما فيه ، ثُمَّ قال : لِمَ فَعَلْتَ هذا ؟ قال : مِنْ خشيتك يارب ، وأنت أعلم ، فغَفَرَ له**))[1] .

فالحديث ظاهر في كيفية الإعادة ، وأنَّها بجمع أجزاء وذرّات البدن بعد تفرُّقِها.

وهذا هو البعث والمعاد الذي ورد ذكره في النُّصوص ، وهو الذي جاءت به الرُّسُل ، وأُنْزِلَت بِهِ الكُتُب .

يقول الإمام ابن القيِّم : ((فإنَّ القرآن إنَّما دلَّ على تغيير العالم وتحويله وتبديله، لا جعله عدماً محضاً ، وإعدامه بالكُلِّيَّة ، فدلَّ على تبديل الأرض غير الأرض ، والسموات ، وعلى تشقُّقِها ، وانفطارها ، وتكوير الشمس ، وانتثار الكواكب ، وسجر البحار ، وإنزال المطر على أجزاء بني آدم المختلطة بالتُّراب ، فينبتون كما

---

(١) م/ كتاب التوبة ، باب في سعة رحمة الله تعالى ٤/ ٢١٠٩ ح ٢٧٥٦ ، وهو في البخاري : في كتاب أحاديث الأنبياء ، باب ٥٤ : ٦/ ٥١٤ ح ٣٤٧٩ باختلافٍ في اللفظ.

ينبت النَّبات ، وتردّ تلك الأرواح بعينها إلى تلك الأجساد التي أُحيلت ثُمَّ أُنْشِئَت نشأةً أُخرى ... فهذا هو المعاد الذي أخبر به القرآن والسُنَّة، ولا سبيل لأحد من الملاحدة والفلاسفة وغيرهم إلى الاعتراض على هذا المعاد الذي جاءت به الرُّسُل بحرفٍ واحدٍ ، وإنَّما اعتراضاتهم على المعاد الذي عليه طائفة من المتكلمين ، أنَّ الرُّسُل جاءوا به ، وهو أنَّ الله يعدم أجزاء العالم العلوي والسفلي كُلِّها ، فيجعلها عدماً محضاً ، ثُمَّ يعيد ذلك العدم وجوداً، وياليت شعري ! أين في القرآن والسُنَّة أنَّ الله يعدم ذرَّات العالم وأجزاءه جملةً ، ثُمَّ يقلب ذلك الوجود عدماً ؟ ..)) [١] .

وبهذا يتبيَّن رجحان هذا القول ، وأنَّ البعث الذي جاءت به الرُّسل ، ودلَّت عليه النُّصوص ، هو إعادة الأبدان والأجساد ، وجمعها بعد تفرُّق أجزائها وتَفَتُّتِهَا ، والله أعلم .

ويُجابُ على استدلال أصحاب القول الأوَّل ، بقوله تعالى : ﴿ **كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ** ﴾ ، وقوله : ﴿ **كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ** ﴾ ، بأنَّ المراد بالهلاك والفناء هنا هو تفريق الأجزاء وزوالها عن صورها وكيفياتها ، وزوال التأليف والتركيب والحياة عنها .

فإنَّ البدن إذا تغيَّر واستحال تراباً، فهذا هو هلاكه. قال الإيجي : ((إنَّ التَّفريق هلاك، فإنَّ هلاك كل شيء خروجه عن صفاته المطلوبه منه، وزوال التأليف الذي جاء به تصلح الأجزاء لأفعالها وتتم منافعها، والتفريق كذلك)) [٢].

---

(١) مفتاح دار السعادة ٢/ ٣٥ ، نشر دار الكتب العلمية.

(٢) المواقف ص٣٧١.

وقال الرازي : في الجواب عن قولهم : أنَّ الهلاك معناه العدم : ((لا نسلم أنَّ الهالك هو المعدوم ، بل هو الذي خرج عن حدِّ الانتفاع ، والأجساد بعد تفرُّقها تصير كذلك)) [١].

ويُجاب عن استدلالهم بقوله تعالى : ﴿ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ﴾ بجوابين :

الأول : أنَّ تشبيه الشيء بغيره لا يقتضي تشابههما من كُلِّ وجه .

الثاني : أنَّ التشبيه في الآية إنَّما هو لقدرته عزَّ وجلَّ على الإعادة بقدرته على البدء ، وليس المراد تشبيه الإعادة بالبدء في الطريقة والكيفية ، والله أعلم[٢].

---

(١) محصل أفكار المتقدمين والمتأخِّرين ص٥٦٠.

(٢) لزيادة البيان ، راجع عن هذه المسألة ما كتبه شيخي الفاضل د. علي بن محمَّد ناصر فقيهي ، في كتابه " منهج القرآن في الدعوة إلى الإيمان " ص٢٥٦ ، وما بعدها ؛ فقد استفدت منه تلخيص هذه المسألة.

المبحث الثالث :
التعريف بالمؤَلِّف ، والكتاب ، والنُّسْخة المعتمدة :
أوَّلاً : التعريف بالمؤلِّف :

- اسمه :

جاء في أوَّل النُّسخة بعد البسملة ، قبل مُقَدِّمة المؤلِّف العبارة التالية : (قال الشيخ الفقيه الثقة ، الوجيه الأفضل ، الأكمل ، أبو القاسم ، ابن مخلص نفعه الله تعالى بقصده) .

وذكر الأستاذ محمَّد العابد الفاسي ، أنَّه جاء في آخر كتاب المؤلّف **"أنجح الوسائل في شرح الشمائل للترمذي "** أنَّ اسمه : قاسم بن محمَّد المدعو بأبي البركات بن أحمد بن عبد الملك بن مخلص . وورد في أوَّله هكذا: " ابن مخلص أبو القاسم ... "[1] .

وقال الأستاذ الفاسي : لم نقف له على ترجمة الآن ... والغالب على الظن أنَّه من رجال القرن التاسع "[2] .

ولم أقف مع طول البحث على ترجمة أو ذكر للمؤَلِّف رحمه الله ، غير أنَّنا نستطيع أنْ نستنتج من خلال الكتاب أنَّه عاش في القرن الثامن الهجري ، وربما أدرك العقد الأوَّل من القرن التاسع ، ذلك أنَّه نقل عن أبي عبد الله الرعييني محمَّد بن سعيد بن محمَّد بن عثمان الأندلسي الفاسي ، المولود سنة ٦٨٥ هـ ، والمتوفى سنة ٧٧٨ هـ .

---

(١) فهرس مخطوطات خزانة القرويين ١/ ٢٧٢.

(٢) المصدر نفسه : ١/ ٢٧٣.

فلابُدَّ أنْ يكون المؤلِّف معاصراً له ، أو جاء بعده ، ويرجح المعاصرة ، بل يعينها كون تاريخ نسخ هذه النُّسْخَة هو ٨١١ هـ .

- **عقيدته :**

تبَيَّن من خلال أقواله ونقوله في الكتاب تأثره بالمذهب الأشعري ، فهو يقرِّر بعض المسائل وفْقَ المنهج الأشعري ، وينقل عن بعض أئمة الأشاعرة، كالرَّازي ، والغزالي ، والجويني ، وربَّما كان فيما نقله عنهم مخالفة لمنهج السلف ، دون أنْ يُنَبِّه أو يَرُدَّ عليهم ، مِمَّا يدل على تبنِّيه لما نقله عنهم .

وقد علَّقت على ما ذكره ، أو نقله مِمَّا فيه مخالفة لمذهب السلف ، على أنَّ ما وقع منه من ذلك في مواضع محدودة .

وحيث إنَّ الكتاب في باب السمعيات ، والحديث عن البعث وإثباته ، وليس بين السلف والأشاعرة في ذلك خلاف في هذا الباب في الجملة ، فإنَّه لا ضَيْرَ في كون المؤلِّف يميل إلى المذهب الأشعري ، أو حتَّى في كونه أشعرياً ، إذ لا أثر لذلك في موضوع الكتاب ، والحق يجب قبوله من كُلِّ مَنْ جاء به .

- **مؤلفاته :**

١ - كتاب " أنجح الوسائل في شرح الشمائل للإمام أبي عيسى الترمذي " ، يوجد منه نسختان في خزانة القرويين بفاس ، الأولى تحت رقم (٢٧٣) ، وتقع في (١٤٠ورقة) ، والأخرى برقم (٢٧٦) وتقع في (١٥٧ ورقة)[(١)] .

---

(١) انظر : فهرس مخطوطات خزانة القرويين ، لمحمَّد العابد الفاسي : ١/ ٢٧٢- ٢٧٥.

٢- كتاب أدلة التوحيد والنبوة والبعث من آيات القرآن المكتسبة للقلوب مزيد الإيمان والإيقان[١].

ثانياً : التعريف بالكتاب :

- **اسمه :**

لم يثبت على طُرَّة نسخة الكتاب اسم معين له ، ولم يُشِر المؤلِّف رحمه الله إلى تسميته في المَقَدِّمَة التي وضعها بين يدي الكتاب ، على أنَّه أشار فيها إلى أنَّه صنَّفه في إثبات بعث هذه الأجسام التي كانت في الدنيا بعينها ، والردّ على مَنْ أنكر ذلك .

ولذلك أُثْبِتَ الكِتَابُ في قسم المخطوطات في الجامعة الإسلامية بعنوان **"رسالة في الرد على منكري بَعْث الأجساد"** .

وحيث إنَّ هذا العنوان فيه مُطابَقة لمضمون الكتاب ومحتوياته ، رأيت مناسبة إثباته .

- **توثيق نسبته للمؤلِّف :**

حيث لم أقف للمؤَلِّف رحمه الله على ترجمة ، أو ذكر في كتب التراجم ، فإنَّه ليس بين أيدينا من أدِلَّة توثيق الكتاب سوى ما ذُكِرَ في الصفحة الأولى من النسخة ، وهو قوله : " قال الشيخ الفقيه الثقة ، الوجيه الأفضل الأكمل ، أبو القاسم ابن مخلص " .

---

(١) انظر : معجم المفسرين : ٢/ ٧٩١ ، ومعلمة القرآن والحديث في المغرب الأقصى : ٩٢ ، وفهرس مصنفات تفسير القرآن : ١/ ٣٥.

- **سبب تأليفه :**

بيَّن المؤلِّف رحمه الله في مقدِّمته السبب الذي دعاه إلى تأليف هذه الرسالة، وهو وجود من يُنْكِر بعث الأجساد بعينها يوم القيامة ، مِمَّن ينتسب للعلم .

فيقول رحمه الله : ((أمَّا بعد : فإني سمعت عن بعض من ينتحل العلم أنَّه نقل في مجلس تدريسه عند كلامه على البَعْثِ ، أنَّ كيفيته : بَعْث أجسام غير هذه تُكْساها الرُّوح ، وتُعَذَّب فيها أوْ تُنَعَّم ... ، فاستعنت الله تعالى على أنْ أجمع ما لأئمة السُنَّة والجماعة في ذلك ، مختصراً من معتقد الحق مداره على الكتاب العزيز ، وحديث رسول الله ﷺ..))[١] .

- **موضوع الكتاب :**

أوضح المؤلِّف رحمه الله في المقدّمة ، ما أَلَّف من أجله كتابه هذا ، كما تقَّدمت الإشارة إلى ذلك في " سبب تأليفه " .

فالكتاب أُلِّف لإثبات البَعْث ، وأنَّ هذه الأجساد هي التي تُبْعَث يوم القيامة ، وهي التي تُنَعَّم ، أو تُعَذَّب ، والردّ على مَنْ يرى أنَّ كيفية البَعْث هي خَلْق أبدان وأجساد أُخَر ، تُكْسَاها الأرواح يوم القيامة .

وقد افتتح المؤلِّف رحمه الله الكتاب بمقدّمةٍ ، أشار فيها إلى إيجاد الله عزَّ وجلَّ للخلق على غير مثالٍ سبق ، مبيِّناً كمال قدرته تعالى ، وسعة علمه ، وأنَّه لا يعجزه شيء في الأَرْضِ ولا في السماء ، ولا يعزب عنه مثقال ذرَّة .

---

(١) انظر ص ٥٨.

ثُمَّ ذكر سبب تأليف الكتاب ، على ما سبق ذكره .

وبيَّن خطورة زلَّة العالم وما يحصل بسبب ذلك من إضلال الخَلْق ، مُحَذِّراً من اتباع الرأي، والقول على الله بغير علم .

ثُمَّ نبَّه رحمه الله تعالى إلى أنَّ القول بأنَّ البعث هو خلق أبدان غير هذه ، يفتح باب إنكار البَعْث جملةً ، والتشكيك فيه ، وأنَّه مؤدٍّ إلى استقصار قدرة الله عزَّ وجلَّ .

ثُمَّ ذكر أنَّ معتمده في تأليفه هذا على ذكر وجمع ماقاله الأئمة في ذلك ، ومداره على ماجاء في الكتاب والسُنَّة ، مبيِّناً أنَّ النَّجاةَ والسلامةَ في التَّمَسُّك بهما ، والعضّ عليهما.

ثُمَّ بدأ موضوع الكتاب بعقد فصلٍ ، نقل فيه ماورد من الإجماع على إعادة هذه الأبدان ، وإمكان ذلك ، وقدرة الله عزَّ وجلَّ عليه .

ثُمَّ بدأ بذكر أدِلَّة البعث من الكتابِ والسُنَّة، ذاكراً الدَّليل، وما جاء في تفسيره وبيانه عن أئمة السَّلف، معتمداً في ذلك على تفسير الإمام ابن عطية المُسَمَّى بـ"المحرَّر الوجيز"، وتفسير الإمام الواحدي المعروف بـ "الوسيط".

هذا وقد بلغ مجموع ما أورده المؤلِّف رحمه الله من أدلَّة البعث تسعةً وثلاثين دليلاً ، جلّها من القرآن الكريم .

ثالثاً : التعريف بالنُّسْخَةِ المُعْتَمَدَةِ في التَّحْقيق :

- **مصدرها :**

اعتمدت في تحقيق الكتاب على نسخة فريدة محفوظة في المكتبة الملكية بالقصر الملكي في الرباط ، تحت رقم (٣٧٨) . عنها صورة فلمية محفوظة في قسم المحفوظات بعمادة شؤون المكتبات في الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية برقم (١٢٩٣/ ٢) .

- **اسمها :**

سبق أنْ ذكَرْت في التعريف بالكتاب ، أنَّه لم يثبت على غلاف النُسْخَة اسم الكتاب ، وأنَّ المؤلِّف لم يذكر في مقدّمته عنواناً لكتابه هذا .

- **عدد لوحات الكِتاب :**

تقع هذه النُسْخَة في سبعٍ وثلاثين لوحة ، مُرَقَّمة حسب الصفحات ، من (٢-٧٤) .

- **عدد الأسطر والكلمات في كُلِّ صفحة :**

يقع في كل صفحة خمسة عشر سطراً ، وبلغ عدد كلمات كل سطر ، من سبع إلى عشر كلمات .

- **نوع الخط :**

كتبت هذه النُسْخَة بخط مغربي جميل ، وكُتِبَت العناوين وبعض الكلمات بقلم عريض واضح .

- **اسم ناسخ هذه النُّسْخَة وتاريخ الفراغ منها :**

اسم النَّاسخ : محمَّد بن محمَّد بن أبي الفضل محمَّد بن محمَّد بن أبي عمرو التّميمي .

تاريخ الفراغ من نسخها : ضحوة يوم الجمعة ثاني شعبان ، سنة ثمانمائة وإحدى عشرة لهجرة النبيِّ صلى الله عليه وسلم . أثبت ذلك الناسخ في نهاية النُسْخَة .

- **عملي في الكتاب :**

يتلخَّص عملي في تحقيق الكتاب فيما يلي :

- قراءة الَّنص ونسخه ، وفْقَ الطريقة الإملائية الحديثة ، محاولاً إخراج الَّنص في أقرب صورة تركه عليها مؤلِّفه ، قدر الطَّاقة .
- عزوت الآيات القرآنية الكريمة إلى سورها ، وخرَّجت الأحاديث النبوية الشريفة والآثار ، وعزوت الأقوال والنصوص التي نقلها المؤلّف إلى أصحابها ، مع مقابلتها في كتبهم ، ولاسيما مانقله عن كتاب ابن عطية ، والواحدي ، وأثبت الفروق المؤثرة في الحاشية .
- ترجمت للأعلام ترجمة موجزة .
- عرَّفت بالفرق والمصطلحات ، وشرحت الغريب .
- أشرت إلى نهاية كل صفحة ، بوضع خط مائل في الَّنص هكذا (/) وذكر رقم الصفحة في الهامش مقابل الخط بين معقوفتين .
- رقمت الأدلة التي استدل بها من الكتاب والسنة على إثبات البعث، وجعلتها في المتن بين معقوفتين [ ] .

- علَّقت على ما يحتاج إلى تعليق .
- حرَّرت دراسة موجزة عن المؤلِّف ، والكتاب ، والنُّسْخَة المعتمدة في التحقيق بإيجازٍ .
- صنعت فهرساً للمصادر والمراجع ، وآخر للموضوعات .
- **الرموز المستعملة في التحقيق :**

خ : للبخاري مع الفتح .

م : لمسلم في الصحيح .

ت : للترمذي .

د : لأبي داود .

ن : للنسائي .

جه : لابن ماجه .

حم : لأحمد في المسند .

ط : للموطأ .

دي ، أو مي : للدرامي في المسند .

نماذج من النسخة المعتمدة

صورة الصفحة الأولى من المخطوطة

صورة الصفحة الأخيرة من المخطوطة

النَّصُّ المحقَّق

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ ، الفقيه ، الثقة ، الوجيه ، الأفضل ، الأكمل ، أبو القاسم ابن مخلص . نفعه الله تعالى بقصده :

الحمد لله الواحد الصَّمد ، المتفَرّد بالعزَّةِ والبقاء ، والقُدْرَة والسَّناء ، الذي لا مِنْ شيءٍ كوَّن ما خلق ، قُدْرَة منه باهرة ، فليست له صفة تُنال ، ولا حَدٌّ يُضْرَب له الأمثال (١) .

قالَ لِمَا شاء : كُنْ فكان . فابتدع الخلْقَ على غير مِثالٍ سبق ، بلا تعبٍ ولانَصَب ، الذي خلق الإنسان مِنْ طِينٍ ، ثُمَّ يُعيده إليه ، ثُمَّ يخرجه منه كما كان ، ليُجَازِيَه ، فهو المُبدئُ المعيد ، لمْ يفتقر سبحانه في إيجاده الموجودات إلى مشيرٍ ، ولا معُين .

أوجد عن كلمةِ كُنْ مَن دَخَلَ في دائرةِ التَّكوين ، ﴿ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ (٢) . [٢]

أحاطَ بِكُلّ شيءٍ علماً ، وأحصى كُلَّ شيءٍ عدداً ، وكيف لا وهو مُنْشِئُه ، ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ (٣) .

---

(١) كذا في الأصل ، ويُحتمل أن تكون : " ولا مثِال ".

(٢) سورة سبأ ، آية : ٣.

(٣) سورة الملك ، آية : ١٤.

لَمْ يَزَل تعالى بصفات الجلال ، والكمال ، وكل اسمٍ من أسمائه لا يخلو من إثباتِ ما يجب له تعالى ، ونفي ما يستحيل عليه من صفات خلقه ، كالقدرة مثلاً ، يَسْتحيل عليها العجز ، وقدرة الخلق يلازمها العجز ، وكذا صفةُ الخَلْقِ نقصها لازم ، وصفات الباري تعالى لا نقص فيها ، ولا حدوث[1]، فعَّالٌ لما يريد ، قادرٌ على ما يشاء ، علمُه تعالى شاملٌ لكل شيءٍ، وقدرته لكلّ مقدور ، ما علم أنَّه يكون أراده ، وما لا ، فلا[2] .

وكل خلقٍ على قدرته يهون ﴿ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾[3].

---

(١) صفات الله تبارك وتعالى قسمان :

١-صفات ذاتية لا تنفك عن الربِّ عزَّ وجلَّ ، كالحياة ، والعلم .

٢_صفات اختيارية تتعلَّق بمشيئة الرَّب وإرادته ، كالنُّزول ، والإتيان ، والمجيء ، والمحبة ، والرضى ، ونحو ذلك. وهذا النوع يقع في وقتٍ دون وقت ، حسب إرادة الله ومشيئته . انظر

ونفي الحدوث مطلقاً يطلقه الأشاعرة ليتوصلوا به إلى نفي الصفات الاختيارية التي تقع بمشيئة الله وإرادته ، فلْيُعْلَم . انظر : شيخ الإسلام ابن تيمية ، رسالة : الصفات الاختيارية ضمن جامع الرسائل : ٢/ ٣ – ٤ والباقلاني ، الإنصاف ص ٤١ .

(٢) قول المؤلّف رحمه الله (وما لا ، فلا) : ليس على إطلاقه ، فإنَّ من المعلوم أنَّ الإرادة نوعان :

إرادة شرعية أمرية دينية ، كإرادته من الخلق الإيمان والطاعة ، ومحبته ذلك منهم .

وإرادة كونية قدرية خلقية ، وهي التي بمعنى المشيئة الشاملة لجميع الموجودات .

فالإرادة الكونية ، هي التي ينطبق عليها قول المؤلّف (ما علم أنَّه يكون أَرادَه ، وما لا ، فلا) ؛ إذ لا يكون ولا يقع في الكون شيء إلاَّ وفق علم الله السابق وإرادته .

وأما الإرادة الشرعية ، فقد تتخلف ، فالله عزَّ وجلَّ يريد شرعاً الإيمان والطاعة من جميع الخلق ، وإن كان سبق في علمه أنَّه لا يكون ذلك من بعض خلقه . فصحَّ أنه قد يريد شرعاً وديناً ، ما علم أنَّه لا يقع ولا يكون كوناً و قدراً . انظر : ابن القيم : شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والتعليل ٢/ ٧٣٦.

(٣) سورة لقمان ، آية : ٢٨.

قدَّر مقاديرهم قبل وجودهم ، وجفَّ القلم بما يكون ، ليس له فيما خلق نِدٌّ ، ولا فيما ملك ضِدٌّ ، ولايَشْرَكُه في ملكه أَحَدٌ .

هو الخالق البارئ المصوّر ، له الأسماءُ الحسنى ، والمثَل الأعلى ، أحمده عدد آلائه ، وأشكره على سواد نعمائه .

وأُصَلّي على سيّدنا / محمَّد نبيّه ورسوله ، الخِيرَةِ مِنْ خَلْقِهِ ، وعلى آلِهِ وصحبه . [٣]

أمَّا بعد : فإني سمعت عن بعض مَنْ ينتحل العلم أنَّه نَقَلَ في مجلس تدريسه عند كلامه على البعث ، أنَّ كيفيَّته : بعث أجسامٍ أُخَر غير هذه ، تُكْسَاها الرُّوح ، وتُعَذَّبُ فيها ، أو تُنَعَّمُ [١] .

أعاذنا الله تعالى مِن زَلَّة عالمٍ ، فإنهَّا تُضِلُّ كثيراً مِنَ النَّاس ، كما روي عَنْ عُمَر بن الخطَّاب رضي الله عنه ، قال لزياد بن حُديْر[٢] : (**هَل تدْري ما يهدمُ الإسلام ؟ قال : لا ، قال : زلّة العالم ، وجدال المنَافِقِ بالكتاب ، وحُكْمُ الأئِمَّةِ المُضلِّين**) [٣] .

وكأنَّ القائل هذا استبعدَ بعثَ هذه بأعيانها ، كما هو المذهب الحق ، وعليه أَهْل السُّنَّة والجماعة ، وهو جائزٌ في المعقول ، ومقصودٌ بالمنقول .

---

(١) لم أقف على اسم مَنْ أشار إليه المؤلّف ، وتقدَّم في الدّراسة مَنْ هُم القائلون بهذه المقالة.

(٢) زياد بن حُدَيْر ، الأسدي ، له ذكرٌ في الصحيح ، ثقةٌ ، عابدٌ ، مِنَ الثَّانِيَة .

ابن حجر : التقريب ١/ ٢٦٦.

(٣) أخرجه الدَّارمي ، السُّنَن ، المقدّمة ١/ ٧١ ، نشر دار الفكر .

وقال الشيخ الألباني في تعليقه على المشكاة ١/ ٨٩ رقم ٢٦٩ : " وسنده صحيح ".

نعوذ بالله من هذه المقالة الشنيعة ، الفاتحةِ لبابِ إنكارِ البَعْثِ جُمْلةً ، والشَّكِ فيه، واستقصارِ قدرةِ المَلِكِ الواحِدِ القهَّار ، القادرِ على كُلّ شيءٍ ، وما ذلك على الله بعزيزٍ .

فسبحان مَنْ لا يُعْجِزْهُ شيء / ، وقدرة الله تعالى أعظم مِنْ هذا كُلّه. [٤]

فاستعنتُ بالله تعالى على أَنْ أجمع ما لأئِمَّة السُّنَّة والجماعة في ذلك ، مختصراً من مُعتقد الحق ، مداره على الكتابِ العزيز ، وحديثِ رسول الله ﷺ، منقولاً من الكُتُب الصّحاح ، عن الأئمَّة المشهورين ، والله سبحانه المسئول أنْ يجعل ذلك خالصاً لوجهه الكريم، وما توفيقي إلاَّ بالله ، عليه توكلّت وهو رب العرش العظيم .

فأقول : هذه المسألة من [أَهَمّ][(١)] أُمُور الدين ، ولا يسع جهلُها أحداً مِنَ المؤمنين ، وما أوجب الزَّلل في هذا وغيره لِمَنْ زَلَّ ، إلاَّ قَبْض العلماءِ الرَّاسخين في العلم ، وتَصَدّي مَنْ لَمْ يأخُذ العلمَ عن شيوخ أهْل السُّنَّة و.....[(٢)] ، خلفاً عن سلفٍ، بالإجازات من المحققين .

والَّذي اقتصر على مطالعة الكتب من غير شيخٍ ، يقع في مِثْل هذه المقالة الغثَّة ، وقد قال ﷺ ((**لم يزل أمر بني إسرائيل بخيرٍ ما كانوا يَتَفَقَّهُون ويُفَقّهون ، فلمَّا قصُّوا ضَلّوا**))[(٣)]./ [٥]

---

(١) من الحاشية.

(٢) كلمةٌ لم أستطع قراءتها.

(٣) أخرجه بلفظٍ مقاربٍ : ابن ماجه : المقدمة ١/ ٢١ ح ٥٦

* البزَّار في البحر الزخَّار ٦/ ٤٠٢ ح ٢٤٢٤ ط : ١٤١٥ هـ ، بتحقيق د/ محفوظ الرحمن زين الله .

وقال رسول الله ﷺ : (**مَنْ قال في القُرْآن برأيه ، أو كذب عليَّ مُتَعَمّداً فليتبوأ مقعده من النَّار**) [١] .

وقال رسول الله ﷺ : (**مَنْ أُفْتِيَ بغير علمٍ كان إثمه على مَنْ أفتاه ، ومَنْ أشارَ على أخيه [بأمرٍ][٢] يعلم أنَّ الرُّشْدَ في غيره فقد خانه**) [٣] .

وقال ﷺ : (**مِنْ قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ**)[٤] .

---

* وقال الهيثمي : رواه البزَّار وفيه قيس بن الربيع ، وثّقه شعبة والثوري ، وضعَّفه جماعة .
مجمع الزوائد ١/ ١٨٠ .

(١) ت ، كتاب التفسير ، باب ما جاء في الذي يُفَسّر القرآن برأيه ٥/ ١٩٩ ح ٢٩٥٠ ، من حديث ابن عباس ، وفيه : " ومنْ قال في القرآن بغير علمٍ ... " .
وقال أبو عيسى : " هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ " .
وأخرجه برقم ٢٩٥١ ، وفيه : (فمن كذب عليَّ ... ومنْ قال في القرآن برأيه ..)
وقال أبو عيسى : هذا حديثٌ حسنٌ.

(٢) في الأصل في الحاشية.

(٣) د . كتاب العلم ، باب التوقي مِنَ الفتيا ٤/ ٦٦ ح ٣٦٥٧
وقال الألباني في تعليقه على المشكاة : " وسنده حسن " . المشكاة ١/ ٨١ ح ٢٤٢
* جه : مقدمة ، باب اجتناب الرأي والقياس ١/ ٢٠ ح ٥٣ .
* مي : باب الفتيا ومافيه من الشدَّة ١/ ٥٧ .
وليس عند ابن ماجه والدارمي (ومن أشار على ...) .

(٤)* ت : كتاب التفسير ، باب ما جاء في الذي يفسر القرآن برأيه ٥/ ٢٠٠ ح ٢٩٥٢ .
* د : كتاب العلم ، باب الكلام في كتاب الله بغير علم ٤/ ٦٣ ح ٣٦٥٢ .
وقال الألباني : سنده ضعيف ، مشكاة المصابيح ١/ ٧٩
* ابن بطة : الإبانة ، الكتاب الثالث ٢/ ١٤٦ برقم ٤٢٢ .

وقال رسول الله ﷺ : (**إنَّ الله عزَّ و جلَّ لا يقبضُ العلم انتزاعاً ينتزعه من العلماء ، ولكن يقبض العالم بعلمه ، فإذا لَم يبقَ في الأرض عالمٌ ، اتَّخذ النَّاس رؤساءَ جُهَّالاً ، فسُئِلُوا فأفتوا بغير علمٍ ، فضَلُّوا وأضَلُّوا**) [١] .

وقال ﷺ : (**سيكون في أُمَّتي ناس يحدّثونكم بما لَمْ تسمعوا أنتم ولا آباؤكم ، فإيَّاكم وإيَّاهم ، لا يضلُّونكم ، ولا يفتننونكم**)[٢] .

وقال ﷺ : (**لا تقوم السَّاعة حتَّى يُقبَضَ العلمُ ، ويكْثُرَ الجَهْلُ**) [٣].

وقال ﷺ : (**يحمل هذا العلم مِنْ كُلّ خلفٍ عُدُولُه ، ينفون عنه تحريف الغالين ، وانتحال / المبطلين ، وتأويل الجاهلين**) [٤] .

[٦]

---

(١) خ : كتاب العلم ، باب كيف يقبض العلم ١/ ١٩٤ ح ٣٤ ، من حديث عبد الله بن عمرو .
م : كتاب العلم ، باب رفع العلم وقبضه ٤/ ٢٠٥٨ ح ٢٦٧٣.

(٢) م : مقدمة ، باب النهي عن الرواية عن الضعفاء ١/ ١٢ ح ٦ ، من حديث أبي هريرة ، بلفظ المؤلّف ،
و ح ٧ لكن فيه : " دجَّالون كذَّابون " بدل الناس " ناس ".

(٣) خ : كتاب العلم ، باب من أجاب الفتيا بإشارة اليد والرأس ١/ ١٨٢ ح ٨٥ ، من حديث أبي هريرة ، وفي كتاب الاستسقاء ، باب ما قيل في الزلازل والآيات ٢/ ٥٢١ ح ١٠٣٦ بلفظٍ أطول منه ، وليس فيه : "ويكثر الجهل " ..

(٤)* أخرجه ابن وضَّاح في البدع ص ٢ ، بتحقيق محمَّد أحمد دهمان .
* الخطيب البغدادي في شرف أصحاب الحديث ص ٢٨ ح ٥٢ ، بتحقيق د . محمَّد سعد خطيب أوغلي .
* وعزاه الهيثمي للبزَّار ، من حديث أبي هريرة ، وابن عمر ، وقال : وفيه عمرو بن خالد القرشي ، كذَّبه يحيى ابن معين ، وأحمد بن حنبل ، ونسبه إلى الوضع . مجمع الزوائد ١/ ١٤٠
* وعزاه في مشكاة المصابيح للبيهقي ، وقال الألباني في تعليقه عليها : أُلْحِقَ في بعض النُّسخ عن الجزري : "البيهقي في المدخل إلى السُّنَن " .. ثُمَّ قال : ثُمَّ إنَّ الحديث مرسلٌ ... لكن الحديث قد رُوِيَ موصولاً من طريق جماعة من الصحابة ، وصحَّح بعض طرقه الحافظ العلائي في " بغية

وقال ﷺ: (**تجيءُ الفِتَن فتنسف العباد نسفاً، ينجو العالم فيها بعلمه**)(١).

وقال ﷺ : (**يأتي على النَّاسِ زمان ، الصَّابر فيهم على دينه كالقابض على الجمر ، وذلك مِمَّا يرى مِنَ الفِتَن**)(٢) .

وقد وقع ما أخبر به ﷺ من ذلك ، غير أنّه ﷺ بشَّر بأنَّ طائفةً مِنْ أُمَّتِه لا تزال على الحق ظاهرين ، حتَّى يأتي أمر الله وهم على ذلك ، قال ﷺ : (**لا تزال مِنْ أُمَّتي أُمَّة قائمة بأمر الله تعالى [لا يضرهم مَنْ خَذَلَهُم أو خالفهم حتى يأتيَ أمرُ الله]**(٣) **وهم على ذلك**)(٤) .

الملتمس ٣-٤ " . قال : وقد جمعت طُرُق الحديث ، والنَّية متوَجّهة لتحقيق القول فيها لأوَّل فرصة تسمح لنا ، إن شاء الله . اهـ . مشكاة المصابيح ١/ ٨٢ ح ٢٤٨

وقال القاسمي : " وتعدُّد طُرقه يقضي بحسنه ، كما جزم به العلائي " . قواعد التّحْديث ص ٦٩.

(١) لم أقف عليه بهذا اللفظ.

(٢) ت : كتاب الفتن ، باب (٧٣) ٤/ ٥٢٦ ح٢٢٦٠ من حديث أنس ، وليس فيه الجملة الأخيرة . وقال أبو عيسى : " هذا حديث غريب من هذا الوجه ، وعمر بن شاكر شيخ بصري ، قد روى عنه غير واحد من أهل العلم " .

وقال الألباني : " وهو _ أي عمر بن شاكر _ ضعيف كما في التقريب.

لكن الحديث صحيح ، فإنَّ له شواهد كثيرة " . _ وذكرها _ ثُمَّ قال : " وجملة القول : أنَّ الحديث بهذه الشواهد صحيحٌ ثابتٌ ، لإنَّه ليس في شيءٍ من طرقها متَّهم ، لاسيما وقد حسَّن بعضها الترمذي ، والله أعلم".

سلسلة الأحاديث الصحيحة ٢/ ٦٨٢ – ٦٨٣

(٣) مابين الحاصرتين سقط من المتن ، وأُلْحِق في الحاشية.

(٤) م : كتاب الإمارة ، باب قوله صلَّى الله عليه وسلَّم : " لا تزال طائفة من أُمَّتي ... " ٣/ ١٥٢٤ ح ١٠٣٧ من حديث معاوية .

* حم : ٤/ ١٠١ .

وقال ﷺ : (**تركت فيكم أمرين لَنْ تضلُّوا ما تمسَّكتم بهما : كتاب الله، وسُنَّة نبيه**)(١) .

وفي أخرى : (**وسُنَّتِي**) .

جعلنا الله تعالى مِمَّن تمسَّك بهما ، واستضاء في ظلمات المشكلات بأنوارهما ، ومَنْ لَمْ يَجْعَلِ الله لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِنْ نُور .

﴿ فَصْـل ﴾

[٧] قال الشيخ الإمام ، العالم ، المحقّق ، ناصر الدّين / عبد الله بن أبي القاسم بن عمر بن علي البيضاوي(٢) رحمه الله تعالى : (الإجماع على أنّه تعالى يُحيي الأبدان بقدرته ، لأنّه ممكن ، لأن تلك الأجزاء [بذاتها] (٣) قابلة للجمع والحياة ، والله تعالى عالمٌ بأجزاء كُلّ شخصٍ على التَّفصيل ، قادر على جمعها ، وإيجاد الحياة فيها ، والصَّادق ﷺ أخبر عنه ، فإنَّه ثبت بالتَّواتر أنَّه ﷺ كان يثبت المعاد البدني ، وإليه أشار ، حيث قال تعالى : ﴿ **قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِيٓ**

وللحديث ألفاظ وطُرُق أخرى ، عند البخاري ومسلم وأصحاب السُنَن وغيرهم.

(١) ط : كتاب القدر ، باب النهي عن القول بالقدر ، بلاغاً ٢/ ٨٩٩ ح ٣
قال الألباني في تعليقه على مشكاة المصابيح : " وهو مُعْضَلٌ كما ترى ، لكن له شاهد من حديث ابن عباس بسندٍ حسنٍ ، أخرجه الحاكم ، وروي من حديث أبي هريرة " . المشكاة ١/ ٦٦ ح ١٨٦

(٢) هو القاضي ناصر الدين عبد الله بن عمر الشّيرازيّ ، قاضيها وعالمها وعالم أذربيجان وتلك النَّواحي ، مات بتبريز سنة خمسٍ وثمانين وستمائة . البداية والنهاية ١٣/ ٣٢٧
قال السبكي :" صاحب" الطوالع" و"المصباح" في أصول الدين ، و"الغاية القصوى " في الفقه ، و"المنهاج" في أصول الفقه ، و"مختصر الكشَّاف " في التفسير ، و" شرح المصابيح " في الحديث .
طبقات الشافعية الكبرى ٨/ ١٥٧ .

(٣) من الحاشية.

أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾ [١] . وتمام السورة دفعٌ لزيغ الطاعنين فيه ، فليُقْنَع به) انتهى[٢] .

وقال الإمام ابن الخطيب[٣] رحمه الله تعالى في (المحصّل)[٤] له : " أجمع المسلمون على المعاد بمعنى جمع الأجساد بعد تفرُّقها ، خلافاً للفلاسفة ، لأنّه تعالى عالمٌ بأعيان أجزاءِ كُلّ شخصٍ ؛ لكونه عالماً بالجزئيَّات ، وقادراً على جمعها ، وخَلْقِ الحياةِ فيها ؛ لكونه قادراً على كُلّ الممكنات ،وإذا كان

---

(١) سورة يس ، آية : ٧٩.

(٢) انظر : طوالع الأنوار ، له مع شرحها للأصبهاني . مخطوط في قسم المخطوطات بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية برقم (٦٧٥٢/ ١) لوحة (٢١٢/ أ).

(٣) هو : محمَّد بن عمر بن الحسين بن علي القرشي التّيْمي البكري ، أبو المعالي ، وأبو عبد الله ، المعروف بالفخر الرَّازي ، ويُقَال له : ابن خطيب الريّ ، صاحب التصانيف الكثيرة في علم الكلام ، والفقه ، والأصول، والتفسير ، كان أحد أئمة الأشعرية ومُحَرّري مذهبهم في عصره ، ثُمَّ رجع في آخر حياته عن مذهب الكلام.

قال ابن كثير : " وقد ذكرت وصيَّته عند موته ، وأنّه رجع عن مذهب الكلام فيها إلى طريقة السلف ، وتسليم ما ورد على وجه المراد اللائق بجلال الله سبحانه " .

قال : ومِمَّا كان ينشده :

وأرواحنا في وحشةٍ من جسومنا * وحاصــل دنيانا أذىٍ ووبالُ
ولَمْ نستفِد من بحثنا طول عمرنا * سوى أنْ جمعْنَا فِيه قيل وقالوا

ثُمَّ يقول : لقد اختبرت الطُّرق الكلامية ، والمناهج الفلسفيَّة ، فلم أجدها تروي غليلاً ، ولا تشفي عليلاً ، ورأيت أقرب الطُّرُق طريقة القرآن ، أقرأ في الإثبات : ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ ، ﴿إليه يصعد الكلم الطيب ﴾ ، وفي النفي : ﴿ ليس كمثله شيء ﴾ ، ﴿ هل تعلم له سميا ﴾ .

كان مولده في سنة ٥٤٣ هـ ، ووفاته سنة ٦٠٦ هـ . رحمة الله عليه .

من البداية والنهاية لابن كثير (بتصرُّفٍ يسير) ١٣ / ٥٩

(٤) وهو أحد كتبه المؤلّفة في علم الكلام ، وهو المعروف بـ (محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من الحكماء والمتكلّمين) ، وقد طُبِعَ واطّلعت على طبعتين منه : الأُولى بتقديم ومراجعة طه عبد الرؤف سعد ، نشر مكتبة الكليات الأزهرية بالقاهرة.

كذلك كانت الإعادة ممكنة"[١] ، "وإعادة المعدوم / عند أصحابنا – يعني [٨]
أهل السنَّة– جائزةٌ " [٢] انتهى [٣] .

وقال الإمام ابن يونس[٤] في جامع كتابه : (وأنَّ الأجساد التي أطاعت، أو عصت، هي التي تبعث يوم القيامة؛ لتجازى، والجلود التي كانت في الدُّنيا، والألسنة والأيدي، والأرجل، هي التي تشهد عليه منهم) انتهى[٥] .

قال الله تعالى : ﴿ وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمۡ لِمَ شَهِدتُّمۡ عَلَيۡنَاۖ قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنطَقَ كُلَّ شَيۡءٖ ﴾[٦] الآية .

---

(١) المحصَّل ص ٥٥٥ ، بتحقيق : حسين أتاي.

(٢) على أنَّ الرَّاجح أنَّ بعث الأجساد هو جمع أجزائها بعد تفرُّقها ، وليس إعادةً لها بعد انعدامها . كما تقدَّم لنا ذلك في الدّراسة ، ويقصد المؤلف بأهل السنة هنا : الأشاعرة فهم أصحابه ، ولكن ليس بينهم وبين السلف –الذين هم أهل السنة على التحقيق– خلاف في أن إعادة المعدوم جائزة ، والله تعالى قادر على إعادة الأجساد بعد عدمها ، على أن الراجح أنها لا تعدم بالكلية ، كما تقدم . والله تعالى أعلم.

(٣) المحصَّل ص ٥٥٣.

(٤) أبو بكر محمد بن عبد الله بن يونس الصقلي التميمي ت ٤٥١ هـ ، كان فقيهاً عالماً ، ألّف كتاباً جامعاً للمدونة ، أضاف إليها غيرها من الأمهات . ابن فرحون / الديباج المذهب : ٢/ ٢٤٠.

(٥) " كتاب الجامع لمسائل المدونة " ، مخطوط في قسم المخطوطات في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة تحت رقم ٢٧١٠ / ١ ، وهو أجزاء ، ولم أقف فيه على نص المؤلف ، وقد يعزى ذلك لوجود خروم في الكتاب.

(٦) سورة فصلت، آية : ٢١ .

وقال الإمام العالم الحاج أبو عبد الله محمد بن الرعيني[١]: (واعجباً ممَّن ينكر البعث مع قوله سبحانه : ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡعَثُ مَن فِي ٱلۡقُبُورِ ﴾ [٢] .

وقال أبو محمد بن أبي زيد[٣] رحمه الله تعالى في [رسالته] : (وأنَّ الله يَبْعَثُ من يموت) [٤] . زاد في [مختصره] [٥] : (بأجسادهم التي كانت في

---

(١) محمد بن سعيد بن محمد بن عثمان الأندلسي الفاسي ، أبو عبد الله الرعيني (٦٨٥ -٧٧٨ هـ) . رحَّالة من العلماء بالحديث ، له عدّة مصنَّفات منها : " اختصار المقدَّمات " لابن رشد ، و " روضة النّاظر " في غريب الحديث ، " والجامع المفيد " وغيرهما.

ترجمته في فهرس الفهارس للكتاني : ١/ ٤٣٦ رقم (٢٢٠) ، شجرة النور الزكية ٢٣٦ ، الأعلام للزركلي ٧/ ١١-١٢ .

(٢) سورة الحج ، آية : ٧.

(٣) هو أبو محمد عبد الله بن أبي زيد ، واسم أبي زيد : عبد الرحمن ، نفزي النّسب ، سكن القيروان ، وكان إمام المالكية في وقته ، وقدوتهم ، وجامع مذهب مالك ، وشارح أقواله ... وكان يُعْرف بمالك الصَّغير . له تآليف كثيرة مشهورة ، من أشهرها : " الرسالة " ، وكتاب " مختصر المدوَّنة " وغيرها من المصنَّفات النّافعة . وكانت وفاته رحمه الله تعالى سنة ٣٨٦ هـ .

ترجمته في : الديباج المذهب في أعيان المذهب ، لابن فرحون ١/ ٤٢٧ بتحقيق : محمد الأحمدي أبو النور ، نشر : دار التراث.

(٤) ص١٥ ، مع شرحها الثمر الدَّاني ، نشر : دار الكتب العلمية.

(٥) توجد منه قطعة بدار الكتب الوطنية بتونس ، ثانية مجموع ، رقمه ١٤٨٩٤ تبدأ من ٩ ب وتنتهي في ٢٨ ب . كذا أفاد محقق كتاب الجامع لابن أبي زيد ، ص ٤٤.

في الدُّنيا ، التي أطاعوا الله تعالى بها وعصوه ، فيُجازى المحسن على إحسانه ، والمسيء على إساءته[١]،وهذا مِمَّا يجب على كُلّ مسلمٍ اعتقاده والإيمان به .

فمن جحَده ، أو شَكَّ فيه فهو كافر .

فالطَّبِيعيُّ[٢] /الذي يُنكر العودة مطموسُ العينين، قد غلق على عقلـه [٩] أعظم غشاوة من الرَّين[٣] . ومَنْ أنكـر جميـع الشرـائع مؤديـاً إلى أن يعلـم جميع الطبائع ، فهو كافرٌ ملحدٌ ، وإن قال : أنّه موحد .

والمعتزليُّ [٤] بأنَّ المعاد عينٌ أُخرى مخترعة ، جاهلٌ من وجهين : من النقل، ومن العقل [٥] .

أمَّا النقل : فقد تواترت الآثار عن النَّبِـيّ ﷺ أنَّ نفـوسَ بنـي آدم باقيـةٌ ، سعيدها ، وشقيّها .

(١) جاء في كتاب الجامع لابن أبي زيد كلام بمعناه ، ونصه : " .. وأنّ التي أطاعت وعصت هي التي تبعث يوم القيامة لتجازى، والجُلود التي كانت في الدنيا هي التي تشهد ، والألسنة والأيدي ، والأرجل هي التي تشهد عليهم يوم القيامة على من تشهد عليه .. " الجامع : ١١٢.

(٢) نسبةً إلى المذهب الطبيعي في الفلسفة العامَّة ، وهو القول أنَّ الطبيعة هي الوجود كله ، وأنَّه لا وجود إلاّ للطبيعة ، أي للحقيقة الواقعية المؤلفة من الظواهر المادية المرتبطة بعضها ببعض ، على النحو الذي نشاهده في عالم المحسوس . ويفسّر المذهب الطبيعي جميع ظواهر الوجود بإرجاعها إلى الطبيعة ، ويستبعد كُلّ مؤثرٍ يجاوز حدود الطبيعة ويفارقها، ويُسمَّى أصحاب هذا المذهب بالطبيعيين ، وهم الدهريون الّذين ينكرون وجود الصَّانع المُدّبّر ، ويزعمون أنَّ العالم وجد بنفسه ، دون حاجة إلى علّة خارجة عنه . د . جميل صليبا : المعجم الفلسفي ٢/ ١٧.

(٣) يوجد في الأصل علامة لحق . والكلام في الحاشية غير مقروء .

(٤) كُتِبَ في الأصل فوق كلمة (والمعتزليُّ) : " كذا " .

(٥) عزا ذلك الأيجي إلى " معمر " . أحَد قدماء المعتزلة . شرح المواقف ٨/ ٢٩٧

وانظر : د . علي ناصر فقيهي : منهج القرآن في الدعوة إلى الإيمان ص ٣٤٥

وصحَّ في الأثر : (**أنَّ ابن آدم تأكلـه الأرض ، إلاّ عَجْـبَ الـذَّنَب ، منـه خُلِقَ ، ومنه يُرَكَّب**)(١) .

وتركيبه مـع جـواهره المتقدّمـة ، وأشـلائه الممزَّقـة ، حتـى تعـاد عينُهـا المتقدّمة .

والعقل قاضٍ بإمكـان هـذا ، فـما الـذي دعـاه أن يقـول بـاختراعِ عـينٍ أُخْرى؟.

والصحيح أنَّ للإنسان جوهرين لا تأكلهما الأرض ، روحـه ، وعَجْـبُ ذَنبِه ، وأنَّ العودة ليست اختراعاً لعينٍ أخرى ، بل العـين التـي كانـت هـي تُعاد ، والإنسان الذي كان بعينه في الدُّنيا هـو المُعَـاد ، وأنَّ الله تعـالى سـمَّاها نشأةً أُخرى لمعنيين / : [١٠]

أحدهما : النظر إلى المحل الآخر ، كأنه قال : نشأة الدَّار الأُخرى .

والثاني : يفعله تعالى فيها عودةً كما فعله بدءاً .

فمَن آمن بهذا إيمان يقـين واستبصـار ، عَلِـمَ ضـلال الطبيعـي ، وغلـط المعتزلي، وإنَّما الهدى من الله تعالى نورٌ يفيضُه على بصائر الأبرار . انتهى .

وكما قيل : الحمد لله الذي أظهر لِخِيَارِ عباده ، وأهل وداده سبيلاً، وأقـام لهم من الآيات الصحيحة ، والبراهين الفصيحة دليلاً .

ومعتمدنا في هذا المقصد على كتاب الله تعالى ، وحديث رسوله ﷺ.

---

(١)* خ : كتاب التفسير ، باب يوم يُنفخ في الصّور ٨ / ٦٨٩ ح ٤٩٣٥

*م : كتاب الفتن وأشراط الساعة ، باب مابين النَّفْخَتَيْن ٤/ ٢٢٧١ ح ٢٩٥٥.

[الدليل الأول] :

قوله تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَـٰنُ أَنَّا خَلَقْنَـٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴾(١)

(يعني أُبيَّ بن خلف(٢) ، خاصم النّبي ﷺ في إنكار البعث، وأتاه بعظمٍ قد بَلِي ، فَفَتَّه بيده ، وقال : أيُحيْي الله هذا بعد ما رمَّ ؟! فأنزل الله تعالى : **﴿أَوَ لَمْ يَرَ الإنسانُ﴾** الآية (٣) .

يعني : ألا يرى أنّه مخلوقٌ مِن نطفةٍ ، ثُمَّ هو يخاصم ؟! وهذا تَعَجُّبٌ مِنْ جَهْلِهِ ، وإنكارٌ عليه بقوله : **﴿ وَضَرَبَ / لَنَا مَثَلاً ﴾**(٤)، يعني : أنّه ضَرَبَ [١١] المثَلَ في إنكار البعث بالعظم الذي يَفُتُّه بيده ، ويتعجب مِمَّن يقول : إنَّ الله يُحييه ، **﴿ ونَسي خلقه ﴾** :

---

(١) سورة يس ، آية : ٧٧.

(٢) هو أُبيّ بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح ، قتله رسول الله ﷺ يوم أُحُد ، حيثُ دَقَّ ترقوته ، فخرَّ صريعاً ، ثُمَّ حمله المشركون حتَّى مات بمرّ الظَّهران ، على بُعْد أميالٍ من مكّة .

الزبيري ، المصعب بن عبد الله بن المصعب ، نسب قريش ص ٣٨٧ ، نشر وتعليق وتصحيح : إليفي بروفنسال . ط . الثالثة ، دار المعارف .

وانظر : السيرة النبوية لابن هشام ١/ ٣٦١ ، بتحقيق مصطفى السقا وزميله . ط . الثانية ١٣٧٥ هـ .

(٣)* أخرجه ابن جرير في جامع البيان ١٠/ ٤٦٤ ح ٢٩٢٤٢ ط . الأولى ١٤١٢ هـ ، نشر : دار الكتب العلمية ، بيروت .

*وذكره ابن كثير في تفسير القرآن العظيم ٦/ ٥٧٩ ط . مكتب الشعب .

وذكرا في رواية أنَّ الذي فعل ذلك هو : العاصي بن وائل السهمي ، وفي أُخرى أنّه عبد الله بن أُبيّ ، وأنكر الأخيرة ابن كثير وقال : " هذا منكر لأنَّ السورة مكيَّة وعبد الله بن أُبيّ بن سلول ، إنَّما كان بالمدينة " . تفسير القرآن العظيم ٦/ ٥٨٠ . وانظر تخريج الروايات في ذلك : السيوطي ، الُّدر المنثور ٧/ ٧٤-٧٥

(٤) سورة يس ، آية : ٧٨.

قال مُقاتل [(١)] : "تَرَكَ النَّظر في خَلْقِ نفسه إذ خُلِقَ مِن نطفةٍ " [(٢)] ، ثُـمَّ بيَّن ذلك المثل بقوله : ﴿ **قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ** ﴾ [(٣)] .

قاس قدرة الله بقدرة الخلق ، فأنكر إحياء العظم البالي لما لم يكن ذلـك في مقدور البشر .

يُقَال : رَمَّ العظمُ يَرِمُّ ، إذا بَلِيَ ، فهو رَمِـيم ، والعظـامُ رمـيمٌ ، ولا يُقـال بالهاء، لأَنَّه مصروفٌ إلى فعيل [(٤)] .

قـال الله تعـالى : ﴿ **قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ** ﴾ ابتـدأها أوَّل مرّة ﴿ **وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ** ﴾ [(٥)] .

ثُمَّ زاد في البيان ، وأخبر عن عجيب صنعه فقال: ﴿ **ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ** ﴾ [(٦)] يعني : ما جعل مـن النَّار في المَرْخِ والعَفَارِ ، وهما شجرتان تتخذ الأعراب وقودها منهما.

وقوله تعالى : ﴿ **فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ** ﴾ : تقدحون النَّار وتوقدونها

---

(١) مُقَاتل بن سليمان بن كثير الأزدي الخراساني ، أبو الحسن البَلْخِي المفسّر ، نزيل مَرو . ويقال له ابن دوال دوز ، كذّبوه ، وهجروه ، ورُمِيَّ بالتّجْسيم . مات سنة خمسين ومائة .

الدوادي : طبقات المفسرين ٢/ ٣٣٠ بتحقيق : علي محمد عمر.

(٢) أورد ابن الجوزي هذا الكلام بنصه ، غير أنّه لم يعزه لمقاتل . انظر : زاد المسير ٦/ ٢٨٣.

(٣) سورة يس ، آية : ٧٨.

(٤) انظر لسان العرب : ١٢/ ٢٥٣ ، مادة رمم .

(٥) سورة يس ، آية : ٧٩.

(٦) سورة يس ، آية : ٨٠.

مِنْ ذلك الشَّــجر / . ثُمَّ ذكر ما هو أعظم خلقاً مـن الإنسـان فقـال : [١٢] ﴿ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾ [١] في عظمها وكثرة أجزائهـا ، يقدر على إعادة خلق البشر ، ثُمَّ أجاب هذا الاسـتفهام بقولـه : ﴿ بَلَىٰ ﴾ أي هو قادرٌ على ذلك ، ﴿وَهُوَ الْخَلَّٰقُ ﴾ يخلـق خلقاً بعـد خلـق ، ﴿ الْعَلِيـــمُ ﴾ بجميع ما خلق .

ثُمَّ ذكر قدرته على إيجاد الشيء ، فقال : ﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [٢] .

ثُمَّ نزَّه نفسه أن يوصف بغـير القـدرة ، فقـال : ﴿ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [٣] . انتهى من تفسير الإمـام الواحـدي[٤] رحمه الله تعالى[٥] .

---

(١) سورة يس ، آية : ٨١.

(٢) سورة يس ، آية : ٨٢.

(٣) سورة يس ، آية : ٨٣ .

(٤) قال الذّهبي في ترجمته : الإمام العلاّمة الأستاذ ، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمَّد بن علي الواحدي النيسابوري ، الشافعي ، صاحب التفسير ، وإمام علماء التأويل ، من أولاد التُّجَّار ، وأصله من ساوَه ... صنّف التفاسير الثلاثة : "البسيط" و"الوسيط" و"الوجيز"... وله كتاب أسباب النزول، وغيره. ت ٤٦٨ هـ. سير أعلام النبلاء (بتصرُّف) ١٨/ ٣٤٠ .

(٥) الوسيط في تفسير القرآن المجيد ٣/ ٥٢٠ ، ط . الأولى ١٤١٥ هـ ، بتحقيق : عادل أحمد عبد الموجود وزملائه .

[الدليل الثَّاني] :

الحـديث الصـحيح : خـرَّج مالـك[١] رحمـه الله في "موطئـه" عـن أبي الزناد[٢]، عن الأعرج[٣] ، عن أبي هريرة[٤] رضي الله تعالى عنه أنَّ رسـول الله ﷺ قال : (**قال رجلٌ لَمْ يعمل خـيراً قـط لأهلـه إذا مـات فَحَرّقـوه ثُـمَّ اذْرُوا نصفه في البَرّ ، ونصفه في البحر ، فو الله لَئِنْ قَدَرَ الله عليه لَيُعَذّبَنَّه / عـذاباً لا** [١٣] **يُعذّبه أَحَداً من العالمين ، فلمَّا مات الرجل فعلوا ما أمرهم به ، فأمر الله البحر فجمع ما فيه ، وأمر البَرَّ فجمع ما فيه ، ثُمَّ قال : لِمَ فَعَلْـتَ هـذا ؟ قـال : مِـنْ خشيتك يارب وأنت أعلم ، قال : فغفر له**) [٥] .

شرح هذا من "المختار"[٦] :

---

(١) هو الإمام مالك بن أنس بن أبي عامر بن عمرو الأصبحي ، أبو عبدالله ، المدني الفقيه ، إمام دار الهجرة ، رأس المتَّقِين ، وكبير المُثْبتين ، ت ١٧٩ هـ ، وكان مولده سنة ٩٣ هـ . وقال الواقدي : بلغ تسعين سنة .

ابن حجر : التقريب ٢/ ٢٢٣ .

(٢) هو : عبد الله بن ذكوان القرشي ، أبو عبد الرحمن المدني ، المعروف بأبي الزناد ، ثقةٌ ، فقيهٌ ، مات سنة ١٣٠ هـ وقيل : بعدها . المصدر السابق ٢/ ٤١٣ .

(٣) الأعرج ، وهو : عبد الرحمن بن هُرْمُز الأعرج ، أبو داود المدني ، مولى ربيعة بن الحارث ، ثقةٌ ، ثبتٌ . مات سنة ١١٧ هـ . المصدر نفسه ٢/ ٥٠١ .

(٤) الدَّوْسِي ، الصحابي الجليل ، حافظ الصحابة .

(٥)* ط : كتاب الجنائز ، باب جامع الجنائز ١/ ٢٤٠ ح ٥١ .

*خ : كتاب التوحيد ، باب يريدون أنْ يبَدّلوا كلام الله ١٣/ ٤٦٦ ح ٧٥٠٦ .

*م : كتاب التوبة ، باب في سعة رحمة الله تعالى ٤/ ٢١٠٩ ح ٢٧٥٦ . .

(٦) وهو : " المنتقى " في شرح الموطأ.

قال أبو الوليد الباجي[١] رحمه الله : ((ولا يصح أنْ يُريد بـأمره لأهلـه أن يذروا نصفه في البحر ، ونصفه في البَرّ ، أنْ يُعجز الله تعالى بـذلك ، واعتقـاد أنَّ الباري سبحانه لا يقدر على إعادته مع هذا الفعل؛ لأنَّ مَـنِ اعتقـد ذلـك كفر ، والكافر لا يغفر الله له .

قـال : وقيـل إنَّ معنـاه : إنْ قـدَّر الله أنْ يعـذّبني ولم يُـرِد أنْ يغفـر لي ، فيعذّبني عذاباً لا يعذّبه أحداً من العالمين[٢] .

وقيل : كأنّه قال : إن كان سبق في قـدر الله وقضـائه أن يعـذّب كـل ذي جرمٍ على جرمه ، فيعذّبني عذاباً لا يعذّبه أحداً من العالمين غيري .

وهذا منه خوفٌ ويقين / وإيمانٌ وتوبيخٌ لنفسه ، وخشيةٌ منه لربه تعالى ، [١٤] وتوبةٌ عمَّا سلف من ذنبه ، وهذا كُلّه لا يكون إلاّ لمـؤمنٍ مصـدّقٍ ، ومـوقنٍ بالبعث والجزاء ، ولا يصح أنّه بمعنى القدرة ، لأنّه كفر ، ولا يغفر الله تعالى لمن يُشرك به .

---

(١) القاضي سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب بن وارث ، أبو الوليد الباجي ، إمامٌ حافظٌ ، ذوفنونٍ ، وُلِدَ سنة ٤٠٣ هـ ، رحل في طلب العلم إلى الحجاز والشام وبغداد وغيرها ، له تصانيف نفيسة ، في التوحيد ، والفقه ، والأصول ، منها : " المنتقى " في الفقه ، و" المعاني " في شرح الموطأ ، و " الاستيفاء " وغيرها . ت ٤٧٤ هـ وعمّر إحدى وسبعين سنة . ترجمته في : السير للذهبي ١٨ / ٥٣٥ ، والديباج المذهب ١/ ٣٧٧ .

(٢) " المنتقى " شرح الموطأ ٢/ ٣٢ ، ط . الأولى ، مطبعة السعادة بمصر .

وقيل في " القدر " لغتان مشهورتان : " قَدَّر " الله بالتشديد ، ، " قَـدَرَ " بالتخفيف .

ذكره ابن قتيبة[١] ، وذكره ثعلب[٢] وغيره، والشواهد عليـه بالتمهيـد[٣] انتهى .

وقيل في قوله تعالى : ﴿ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ ﴾ [٤] أي ضُيّقَ ، وكذلك قوله تعالى : ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ ﴾ [٥] . الآية .

---

(١) مشكل القرآن ص١٠٤ ، نشر وشرح السيد أحمد صقر ، ط . الثانية ١٣٩٣ هـ ، وابن قتيبة هو : أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ، كان كوفيّاً ومولده بها ، وإنَّما سُمّي الدينوري ، لأنّه كان قاضي الدينور .. وكان فاضلاً في اللغة ، والنحو ، والشعر ، متقناً في العلوم .. وله المصنّفات المذكورة ، والمؤلّفات المشهورة ، منها : " غريب القرآن " ، " غريب الحديث " و " مشكل القرآن " و " مشكل الحديث " و "أدب الكاتب " و " كتاب المعارف " و " عيون الأخبار " و " دلائل النبوة " إلى غير ذلك من المصنّفات . توفي سنة ٢٧٠ هـ ، وقيل : ٢٧٦ هـ في خلافة المعتمد على الله . ابن الأنباري ، عبدالرحمن بن محمد : نزهة الألباء في طبقات الأدباء ص١٥٩ بتحقيق د . إبراهيم السامرائي ، ط . الثالثة ١٤٠٥ هـ .

وانظر ترجمته أيضاً في سير أعلام النبلاء ١٣ / ٢٩٦

(٢) وهو : أبو العباس أحمد بن يحيى بن زيد بن سيار الشيباني النحوي ، المعروف بثعلب ، كان إمام الكوفيين في النحو واللغة في زمانه . وُلِد سنة ٢٠٠ هـ ، وتوفي سنة ٢٩١ هـ ببغداد .

ابن الأنباري : نزهة الألباء ص ١٧٣ هـ ، وانظر : سير أعلام النبلاء ١٤/ ٥ .

(٣) أي: التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد للحافظ أبي عمر يوسف بن عبد البر (٣٦٨-٤٦٣ هـ) . وانظر الشواهد المشار إليها فيه ١٨ / ٤٣ – ٤٥ .

(٤) سورة الطلاق ، آية : ٧ .

(٥) سورة الأنبياء ، آية : ٨٧.

وهذه الآية الكريمة ، وهذا الحديثُ ، نصٌّ جليٌّ في إعادة الإنسان وجواهره بأعيانها ، ولو رمَّت وبليَتْ كُلّ مذهبٍ مِنَ الشَّتات والتَّفريق والتَّمزيق ، بإذن الله سبحانه القادر المقتدر الذي لا يعجزه شيء .

[الدليل الثالث] :

وقوله ﷻ : ﴿ **وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقٗا جَدِيدٗا** ﴾ [١] **الآية** / ذكر الله سبحانه إنكارهم البعث بقوله : ﴿ **وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا** ﴾**[١٥]** قال الفرَّاء [٢]: " الرفات مثل الدُّقاق [٣] والحُطام ، والرفت : كسر الشيء بيدك ، مثل المَدَرِ، والعظمِ البالي، وما كُسِرَ فهو رُفات، مثل الفُتات" [٤] .

قال ابن عبَّاس : " إذا ذهب اللحم و العروق ، وبقيت عظامٌ قد بليَت، وإذا مسسته بين أصابعك انسحق"[٥] . ﴿ **أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقٗا جَدِيدٗا** ﴾ أي : أَنُبْعَثُ إذا صرنا تراباً ؟ وهذا استفهام إنكارٍ وتعجُّبٍ .

---

(١) سورة الإسراء ، آية : ٤٩.

(٢) هو : أبو زكريا يحيى بن زياد الفرَّاء ، أخذ عن الكسائي ، وكان إماماً ثقة ، حُكِيَ عن أبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب أنّه قال : لولا الفرَّاء لما كانت اللغة ؛ لأنّه حصَّلها ، وضبطها ، ولولا الفرَّاء لسقطت العربية ؛ لأنّها كانت تتنازع ويديعها كُلّ مَنْ راد ، ويتكلّم النّاس على مقادير عقولهم وقرائحهم فتذهب . صاحب تصانيف من أهمها كتاب " معاني القرآن " أملاه مِنْ حفظه . ت ٢٠٧ هـ في طريقه إلى مكة ، وقد بلغ ثلاثاً وستين سنة .

ترجمته في : نزهة الألباء لابن الأنباري ص٨١ ، وسير أعلام النبلاء ١٠ / ١١٨ .

(٣) في الأصل ، وعند الواحدي : " الرُّقاق " بالراء ، والتصويب من معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٢٥ .

(٤) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٢٥ بتحقيق محمَّد علي النَّجَّار ، وفيه : " الرفات : التراب لا واحد له ، بمنزلة الدُّقاق والحُطَام.

(٥) لم أقف عليه .

﴿ قُلْ كُونُوا۟ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴾ [(١)] . قال الزَّجاج [(٢)] : " إنَّهم كانوا يُقرُّون بأنَّ الله تعالى خالقهم ، وينكرون أنَّه يعيدهم ، فقال الله تعالى : قُل لهم إنَّكم لو خُلِقْتُم حجارةً أو حديداً ﴿ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِى صُدُورِكُمْ ﴾ [(٣)]، والأكثرون قالوا : يعني الموت ، وليس أكبر في صدور بني آدم من الموت ، يقول : لو كنتم الموت لأماتكم ثمَّ أحياكم؛ فإنَّ القدرة التي بها أنشأكم، بها يعيدكم " [(٤)].

هذا معنى قوله : ﴿ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا ۖ قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ - أي- أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ [(٥)] .

قال مجاهد[(٦)]: (ما شئتم ، فكونوا / حجارةً ، أو حديداً ، أو سماءً ، أو [١٦] أرضاً ، أو جبلاً ، فسيعيدكم الله كما كنتم) [(٧)] . انتهى من تفسير الإمام الواحدي [(٨)].

---

(١) سورة الإسراء ، آية : ٥٠.

(٢) هو : أبو إسحاق إبراهيم بن السري بن سهل الزجاج ، كان من أكابر أهل العربية ، وكان حسن العقيدة، جميل الطريقة ، وصنَّف مصنَّفاتٍ كثيرة ، منها : " المعاني في القرآن " وكتاب" الفرق بين المؤنث والمذكر " وكتاب " فعلت وأفعلت " و " الرد على ثعلب الفصيح " إلى غير ذلك . وكان صاحب اختيار في النَّحو والعَروض . توفي سنة ٣١١ هـ .
نزهة الألباء لابن الأنباري ١٨٣ وانظر : سير أعلام النبلاء ١٤ / ٣٦٠ .

(٣) سورة الإسراء ، آية : ٥١.

(٤) معاني القرآن للزجاج ٣/ ٢٤٤ تحقيق د . عبد الجليل شلبي ، نشر : عالم الكتب ، ط . الأولى ١٤٠٨هـ. مع شيءٍ من التقديم والتأخير في النقل.

(٥) سورة الإسراء ، آية : ٥١.

(٦) مجاهد بن جَبْر، أبو الحجاج المخزومي مولاهم، المكي، ثقة، إمام في التفسير وفي العلم، ت (١، ٢، ٣ ، ١٠٤ هـ) ، وله ثلاث وثمانون سنة . ابن حجر : تقريب التهذيب ٢ / ٢٢٩ .

(٧) تفسير مجاهد ١ / ٣٦٣ ، بتحقيق : عبد الرحمن الطاهر بن محمَّد السورتي ، وهو فيه مختصر بلفظ : "يقول: ما شئتم فكونوا ، فسيعيدكم الله عزَّ وجلَّ كما كنتم ".

(٨) الوسيط ٣ / ١١١ .

[الدليل الرابع] :

وقوله عزَّ وجلَّ : ﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (١) .

قال الإمام ابن عطية (٢) في تفسير هذه الآية الكريمة : ((قال الضحَّاك (٣) وغيره: " هو عزير "(٤)، وقال وَهْبٌ (٥)، وعبدالله بن عبيد بن عمير (٦)،

---

(١) سورة البقرة ، آية : ٢٥٩.

(٢) أبو محمَّد عبدالحق بن غالب بن عبد الرؤوف بن تمام بن عبد الله بن تمام بن عطية ، كان فقيهاً عالماً بالتفسير ، والأحكام ، و الحديث ، و الفقه ، والنحو ، و اللغة ، و الأدب، مقيّداً حسن التقييد، له نظمٌ ونثرٌ ، وَلِيَ القضاء فكان غايةً في الدَّهاء والذكاء ، والتهمم بالعلم . ألَّف كتابه المسمَّى بـ " الوجيز " في التفسير ، وأحسن فيه وأبدع ، وطار بحسن نيته كُلّ مطار ، ويُعْرَف باسم " المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز " . كان مولده سنة ٤٨١ هـ ، ووفاته سنة ٥٤٦ هـ .
ترجمته في : الديباج المذهب ٢ / ٥٧ ، والسير ١٩ / ٥٨٧ .

(٣) الضَّحَّاك بن مزاحم الهلالي ، أبو القاسم الخراساني المفسّر ، خراسانيٌّ ، صدوقٌ ، كثير الإرسال ، مات بعد المائة. ترجمته في التقريب ١ / ٣٧٣ ، وطبقات المفسرين للداودي ١ / ٢١٦ .

(٤) المشهور أن عزيراً نبي من أنبياء بني إسرائيل ، فهل هو النّبِيّ أو غيره ؟ الله أعلم بذلك .
والأثر أخرجه ابن جرير في جامع البيان ، عن ابن عباس، والضَّحَّاك، وقتادة، والسديّ وعكرمة وغيرهم ، ٣/ ٢٩ – ٣٠ الآثار من ٥٨٨٣ إلى ٥٨٩١ .

(٥) هو : وهب بن مُنَبّه ، العلاّمة الإخباري القصصي ، أبو عبد الله الأبناوي ، اليماني الذماري، أخو همَّام بن منبّه . كان مولده في زمن عثمان رضي الله عنه سنة ٣٤ هـ، ومات سنة ١١٠ هـ، وقيل : ١١٣ هـ ، وقيل : ١١٤ هـ . راجع ترجمته في : سير أعلام النبلاء ٤ / ٥٤٤ .

(٦) في الأصل : " عبد الله بن عمر " ، والتصويب من " تفسير ابن عطية " ، وابن جرير .

[وبكر بن مضر][1]:"هو أرميا"[2].

وروي في قصص هذه الآية أنَّ بني إسرائيل لَمَّا أحدثوا الأحداث بعث الله تعالى عليهم بُخْت نَصَّر البابلي[3] فقتلهم وجلاهم من بيت المقدس ، وخرَّبه ، فلمَّا ذهب جاء أرمياء فوقف على المدينة / معتبراً ، فقال : أَنَّى يُحيي هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عامٍ ، وكان معه حمارٌ قد حَمَل حديداً[4]، وكان معه سلّةٌ فيها تينٌ هو طعامه ، وقيل : تينٌ وعنبٌ ، وكان معه ركوة فيها شرابه، وقيل : قُلَّةٌ من ماء ، وبقي مائة عام ، فرُوِيَ أَنَّه بَلِيَ ، فتفرَّقت عظامه هو وحماره ، ورُوِيَ أَنَّه بَلِيَ دون الحمار ، وأَنَّ الحمار بقي حيَّاً مربوطاً ، ولا أكل شيئاً ولا بَلِيَتْ رمَّتُه . [١٧]

وهو عبد الله بن عبيد بن عمير الليثي المكي ، ثقةٌ ، استشهد غازياً سنة ١١٣ هـ .
تقريب ١ / ٤٣١ .

(١) ليس في الأصل ، وأثبته من تفسير ابن عطية. وهو : بكر بن مضر بن محمَّد بن حكيم المصري ، أبو محمَّد، أو أبو عبد الله ، ثقةٌ ، ثبتٌ ، مات سنة ٣ ، ١٧٤ هـ وله نيف وسبعون سنة . المصدر السابق ١ / ١٠٧ .

(٢) الأثر أخرجه ابن جرير عن وهب : جامع البيان ٣ / ٣٠ برقم ٥٨٩٣ – ٥٨٩٥ .
وعن ابن عمير برقم ٥٨٩٦ –٥٨٩٧ . وعن بكر بن مضر برقم ٥٨٩٨ .
و" أرمياء " هو : أرمياء بن حلقيا ، وكان من سبط هارون بن عمران . ذكره ابن جرير عن وهب ، وهو من أنبياء بني إسرائيل . وانظر : الإعلام بأصول الأعلام ص ٣٤ .

(٣) يُكتب منفصلاً كما هو عند المؤلّف، ويُكْتَب متَّصِلاً، وهو الملك البابلي الذي خرَّب بيت المقدس . قال الدكتور ف. عبد الرحيم : "هو بالعبرية، نِبْوُ خَذْ رصَّر، وله صيغة أُخرى بالنون في موضع الرَّاء، نِبْوُ خَذْ نَصَّر، عربت هذه الصيغة الثانية بصورة : بوخت نصر " بحذف النون من أوَّل الكلمة ، ثُمَّ حُذِفَت الواو لالتقاء الساكنين .
الإعلام بأصول الأعلام ص ٦٢ ط . الأولى ١٤١٣ هـ ، دار القلم .

(٤) عند ابن عطية (وكان معه حمار قد ربطه بحبل جديد) ٢ / ٢٩٣.

[وَرُوِيَ أنَّ الحمار بَلِيَ وتفرَّقت أوصاله دون عُزَيْر] (١) .

ورُوِيَ أنَّ الله تعالى بعث إلى تلك القرية من عمَّرها وردَّ إليها جماعة من بني إسرائيل ، حتى كملت على رأس مائة سنة ، وحينئذٍ "حيي" عزير (٢) .

وَرُوِيَ أنَّ الله تعالى ردَّ عليه عينيه ، وخلق له حياةً يرى بها كيف تَعْمُرُ القريةُ، وتحيَا (٣) مُدَّة من ثلاثين سنة تكملة المائة ؛ لأنَّه بقي سبعين سنة ميتاً كُلَّه. وهذا ضعيفٌ يَرُدُّ عليه لفظ الآية .

وقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ بعثه ﴾ معناه : أحياه ، وجعل له الحركة والانتقال ، فسأله تعالى بواسطة المَلَك : كَمْ لبثت ؟ على جهة التَّقْرير ، " كم " (٤) في موضع نصب على الظَّرف ، فقال : لبثت يوماً أو بعضَ يوم / قال ابن جريج (٥)، [١٨] وقتادة (٦)، والربيع (٧): " ﴿ أماته الله ﴾ غدْوَةَ يومٍ ﴿ لبثت يوماً ﴾ قبل الغروب، الغروب، فظنَّ أنَّ هذا اليوم واحد، فقال : ﴿ لبثت يوماً ﴾ ، ثُمَّ رأى بقية من

(١) هذه الجملة سقطت من متن الأصل ، وأُلْحِقَت في الحاشية .
(٢) في الأصل : " جاء " ، والتصويب من " المحرر الوجيز " ٢ / ٢٩٣.
(٣) في المحرر : " ويحيى " ٢/ ٢٩٣ .
(٤) في المحرر : " وكم ".
(٥) عبد الملك بن عبد العزيز بن جُرَيج الأُموي مولاهم ، المكي ، ثقةٌ ، فاضلٌ ، كان يدلّس ويرسل ، ت ١٥٠ أو بعدها ، وقد جاوز السبعين ، وقيل : جاوز المائة ، ولم يثبت . ابن حجر : التقريب ١ / ٥٢٠ .
(٦) هو : قتادة بن دِعَامة بن قتادة السدوسي ، أبو الخطّاب البصري ، ثقةٌ ، ثبتٌ ، وُلِدَ أكمه. مات سنة بضع عشرة ومائة . المصدر السابق ٢ / ١٣٢ .
(٧) الربيع بن خُثَيْم ، أبو يزيد الكوفي الثوري ، تابعيٌّ جليل ، وردت عنه الرواية في حروف القرآن، مات في ولاية عبيد الله بن زياد، يعني قبل سنة تسعين من الهجرة. ابن الجزري: غاية النهاية في طبقات القُرَّاء ١/ ٢٨٣.

الشمس ، فخشي أن يكون كاذباً فقال : ﴿ **أو بعض يوم** ﴾ ، فقيل له: ﴿ **لبثت مائة عام** ﴾ "[١] .

ورأى من عمارة القرية ، وأشجارها ، ومياهها ما دلَّه على ذلك . وظاهر الإماتة أنَّها بإخراج الروح من الجسد .

ورُوِيَ في قصص هذه الآية أنَّ الله تعالى بعث لها ملكاً من الملوك يعْمُرُها، ويَجِدُّ في ذلك ، حتى كان كمال عمارتها عند بعث القائل : أنَّى يُحْيِي هذه الله بعد موتها .

وقوله تعالى : ﴿ **فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ** ﴾[٢] .

وقف في هذه الآية الألفاظ على بقاء طعامه وشرابه على حاله لم يتغيَّر، وعلى بقاءِ حماره حيّاً على مربطه، هذا في[٣] أحد التأويلين.

وعلى التأويل الثاني : وقف على الحمار كيف يَحْيَا / وتُجْمَع[٤] عظامُه . **[١٩]**

وقوله : ﴿ **لَمْ يَتَسَنَّه** ﴾ أي : لم يتغيَّر ، وقوله : ﴿ **مَاءٌ غَيْرُ آسِنٍ** ﴾ قاله النقَّاش[١] .

---

(١) أخرج الأثر عن هؤلاء : ابن جرير ، جامع البيان ٣ / ٣٧ – ٣٨ ، برقم ٥٩١٥ – ٥٩١٦ عن قتادة ، وبرقم ٥٩١٧ عن الربيع ، وبرقم ٥٩١٨ عن ابن جريج.

(٢) سورة البقرة ، آية : ٢٥٩ .

(٣) في " المحرَّر " : " على " ٢ / ٢٩٤..

(٤) في " المحرَّر " : " وتجتمع " ٢ / ٢٩٤.

وأمَّا قوله عزَّ وجلَّ : ﴿ انْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ ﴾ فقال وهب بن منبه، وغيره: (أنَّه إلى اتصال عظامه ، وأجزائه[٢] جزءاً جزءاً)[٣].

ويُرْوَى : (أنَّه أحياه الله تعالى كذلك حتَّى صار عظاماً ملتئمة ، ثُمَّ كساها اللحم ، حتَّى كمل حماراً ، ثُمَّ جاءه ملك فنفخ في أنفه الروح ، فقام الحِمَارُ ينهق بعد مائة سنة) [٤] .

وروى الضَّحَّاك ، ووهب بن منبه أيضاً أنهما قالا : " قيل له انظر إلى حمارك في مربضه ، لم يصبه شيء مائة سنة . قال : وإنَّما العظام التي نظر إليها عظام نفسه " [٥] .

قال : وأعمى الله تعالى العيونَ عن " أرمياء " وحماره طول هذه المُدَّة، وكَثَّر أهل القصص في صورة هذه النازلة تكثيراً اختصرته ، لِعَدَمِ صِحَّتِهِ .

وقوله تعالى : ﴿ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ ﴾ معناه : لهذا المقصد ، من أن يكون[١] آية ، فعلنا بك هذا .

---

(١) هو العلاّمه المفسّر ، شيخ القرّاء ، أبو بكر محمَّد بن الحسن بن محمَّد بن زياد الموصلي، ثُمَّ البغدادي النقَّاش ، وُلِدَ سنة ٢٦٦ هـ ، وله : " شفاء الصدور " في التفسير ، و" الإشارة في غريب القرآن " ، و"المناسك " و " دلائل النبوة " و " المعاجم الثلاثة " . وله كتابٌ كبيرٌ في التفسير نحو أربعين مجلداً . وغيره من الكتب في القراءات وغيرها . توفي سنة ٣٥١ هـ . ترجمته في سير أعلام النبلاء ١٥ / ٥٧٣ .

(٢) في " المحرر " : " وإحيائه " ٣ / ٢٩٦.

(٣) الأثر أخرجه ابن جرير في جامع البيان ٣ / ٤١ برقم ٥٩٣٤ ، مع اختلافٍ في لفظه.

(٤) ورد بمعناه عن السدي . ابن جرير : جامع البيان ٣/ ٤١ رقم ٥٩٣٥ .

(٥) أخرجه ابن جرير في جامع البيان ٣/ ٤٣، برقم ٥٩٤٠، ٥٩٤١ عن الضَّحَّاك، وعن قتادة برقم ٥٩٤٢.

وقال الأعمش[٢]: ((موضع كونه آية هو أنه / جاء شاباً على هيئته يوم **[٢٠]** ماتَ ، فوجد الحفدةَ والأبناءَ شيوخاً)) [٣] .

وقال عكرمة [٤]: " جاء وهو ابن أربعين سنة كما كان يوم مات ، فوجد بنيه قد نيَّفوا على مائة سنة"[٥] .

وقال غير الأعمش : " بل موضع كونه آية أنَّه جاء وقد هلك كُلُّ من يعرف ، وكان آيةً لمن كان حيّاً من قومه ، إذ كانوا مؤمنين بحاله سماعاً " [٦].

وفي إماتته هذه المُدَّة ثُمَّ إحيائه أعظم آية ، وأَمْرُهُ كُلُّه آية للنَّاس غابر الدَّهر ، لا يحتاج إلى تخصيص بعض ذلك دون بعض .

وأمَّا العظام التي أُمِرَ بالنظر إليها، فقد ذكرنا مَنْ قال : هي عظام نفسه ، ومَنْ قال : هي عِظَام الحمار .

وقوله : ﴿ **كَيْفَ نُنْشِزُهَا** ﴾ : يُروى أنَّه كان يَرَى اللَّحم ، والعَصَب ، والعُروق ، كيف تلتئم ، وتتواصل ، ﴿ **فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ**

---

(١) في " المحرَّر" : " تكون " ٢ / ٢٩٧ .

(٢) الأعمش : سليمان بن مهران الأسدي الكاهلي ، أبو محمَّد الكوفي الأعمش ، ثقةٌ ، حافظٌ، عارفٌ بالقراءَةِ، ورع ، لكنَّه يُدَلّس، ت ١٤٧ هـ. وكان مولده أوَّل إحدى وستين. ابن حجر: التقريب ١/ ٣٣١.

(٣) أخرجه ابن جرير : جامع البيان ٣ / ٤٤ برقم ٥٩٤٦.

(٤) هو : عكرمة بن عبد الله ، مولى ابن عبَّاس ، أصله بربري ، ثقةٌ ، ثَبْتٌ ، عالمٌ بالتَّفسير ، لم يثبُت تكذيبه عن ابن عمر ، ولا يثبُت عنه بدعة .ت ١٠٧ هـ ، وقيل : بعد ذلك . التقريب ٢ / ٣٠ .

(٥) أورده السيوطي في : الدر المنثور ٢ / ٣١ ، وعزاه لسفيان بن عُيَيْنَة ، وابن أبي حاتم .

(٦) أخرج ابن جرير نحوه عن السُدّي . جامع البيان ٣ / ٤٥ رقم ٥٩٤٧.

﴿ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [١]، هو قولُ بَعَثَهُ الاعتبار كما يقول الإنسان المؤمن إذا رأى شيئاً غريباً من قدرة الله تعالى : لا إله إلاَّ الله[٢]، ونحو هذا . / [٢١]

قال القاضي عبد الحقّ[٣] رضي الله تعالى عنه : ((بمعنى علم المعاينة ، ومعنى " ننشرها " : نحييها ، تقول : أنشرَ الله المؤمن فَنَشَرَ[٤] قال الله العظيم : ﴿ ثُمَّ إذا شَاءَ أَنْشَرَه ﴾) انتهى من تفسير الإمام ابن عطية رحمه الله تعالى [٥].

ومِنْ تفسير الإمام الواحدي رحمه الله تعالى في قوله تعالى : ﴿ أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا ﴾ الآية : (قال أكثر المفسرين : هو : " عزير " ، والقرية "إيلياء"[٦]، وهي[٧] بيت المقدس، المقدس، أتى عليها عُزَيْر بعدما خرَّبها بُخْت نَصَّر البابلي، " وهو"[٨] قوله : ﴿وَهِيَ خَاوِيَةٌ ﴾ أو[٩] ساقطة متهدّمة ، يقال : خَرّ[١٠] الحائط ، إذا تهدّم ،

---

(١) ورد نحوه عن الضّحَّاك مختصراً ، أخرجه ابن جرير ٣ / ٤٨ رقم ٥٩٦١ .

(٢) في " المحرَّر " : " الله لا إله إلاَّ الله " ٢ / ٣٠٠.

(٣) هو : ابن عطية صاحب " المحرَّر الوجيز ".

(٤) في " المحرَّر " : " يُقال : أَنْشَرَ الله المْوتى فَنَشَروا " ٢ / ٢٩٧.

(٥) المحرَّر الوجيز ٢ / ٢٩٠ – ٣٠٠ مع تقديمٍ وتأخيرٍ في النّقل ، وهو قليل.

(٦) إيلياء : بكسر أوله ، واللام وياء وألف ممدودة : اسم مدينة بيت المقدس . قيل : معناه بيت الله . وحكى الحفصي فيها القصر ، وفيه لغة ثالثة : حذف الياء الأولى . فيقال : " إلياء " بسكون اللام والمد . الحموي : معجم البلدان ١ / ٢٩٣ نشر : دار صادر .

(٧) في الأصل : " وهو " ، والتصويب من " الوسيط " للواحدي ١ / ٣٧٢.

(٨) ليست في " الوسيط ".

(٩) في " الوسيط " : " أي ".

(١٠) كُتِبَ فوقها في الأصل : " كذا " ، وفي " الوسيط " : " خوى " ١/ ٣٧٢.

وهو أن ينقلع من أصله ، ومنه قوله تعالى : ﴿**أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَة**﴾[(١)] : منقلعة من أُصُولِها .

وقوله[(٢)] عزَّ وجلَّ : ﴿**عَلَى عُرُوشِهَا**﴾ أي سقوفها ، إذ أنَّ الحيطان كانت قائمة ، وقد تهدَّم[(٣)] سقوفها، ثُمَّ انقلعت الحيطان فتساقطت على السقوف.

وقوله : ﴿**أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللهُ بَعْدَ مَوْتِهَا**﴾ - أي[(٤)] – أنَّى يعْمُرُها بعد خرابها ، فأحبَّ / الله تعالى أنْ يُرِيَه آيةً في نفسه وفي إحياء القرية ، ﴿**فَأَمَاتَهُ اللهُ مائَةَ عَامٍ**﴾ . [٢٢]

وذلك أنَّه نام فنزع الله منه الروح مائة عام ، وكان معه حمارٌ ، وتِينٌ ، وعَصِيرٌ ، فأمات الله حماره أيضاً .

فلمَّا مضت مائة سنة أحيى الله تعالى منه عينيه ، وسائرُ جسده مَيّت، ثُمَّ أحيى جسده وهو ينظر ، ثُمَّ نظر إلى حماره ، فإذا عظامه بِيْضٌ تلوح، فسمع صوتاً مِنَ السَّمَاءِ : أيَّتُها العظام البالية! إنَّ الله يأمرك أنْ تَكْتَسِيَ لَحْماً، وجِلْداً ، فكان كذلك ، ثُمَّ قام بإذن الله ونهق ، فذلك قوله : ﴿**ثُمَّ بَعَثَه قَالَ كَمْ لَبِثْتَ**﴾ أي كَمْ أقمت ومكثت هاهُنا ،

---

(١) سورة الحاقة ، آية : ٧.

(٢) في الأصل : " ومنه قوله ... " ، وفي " الوسيط " كما أثبت ، وهو المناسب للسياق.

(٣) في " الوسيط " : " تهدّمت ".

(٤) من " الوسيط ".

﴿ قَالَ لَبِثْتُ يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ﴾ وذلك أنَّ الله تعالى أماته ضحىً في أوَّل النَّهار ، وأحياه بعد مائة عامٍ في آخر النَّهار قبل أن تغيب الشَّمْس ، فقال : ﴿ لَبِثْتُ يَوْماً ﴾ وهو يرى أنَّ الشمس قد غربت ، ثُمَّ التفت فرأى بقيّةً من الشمس ، فقال : ﴿ أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ﴾ ، يعني : بل بعض يوم .

﴿ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مائَةَ عَامٍ فَانْظُر إِلَى طَعَامِك ﴾ يعني : التّين ﴿وَشَرَابِكَ ﴾ / يعني : العصير ، ﴿ لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾ : لم يتغيَّر ، ولم يَنْتَن بعد مائة سنة ، والتَّسَنُّه : هو التغيُّر . [٢٣]

ومَنْ قرأ (لَمْ يَتَسَنَّ) بغير هاء ، أخذه من التسني ، وهو التغيُّر أيضاً بِمَرّ السنين عليه .

قال ابن عبَّاس : ((نظر إلى التين فإذا هو كما اجتناه ، ونظر إلى العصير فإذا هو كهيئته لم يتغيَّر)) [١] .

وقوله : ﴿ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ ﴾ أراه الله تعالى علامة مُكْثِهِ مائة سنة ، ببِلى عظام حماره .

﴿ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ ﴾ قال المفسرون : جعله الله آية للنَّاس ؛ بأن بعثه شابّاً أسود الرأس واللحية ، وبنو بنيه شيب [٢] .

---

(١) رواه ابن جرير عن ابن عباس مختصراً، بلفظ : " لم يتسنَّه " : لم يتغيَّر . جامع البيان ٣/ ٤٠ برقم ٥٩٢٧ .

وانظر : السيوطي ، الدر المنثور ٢/ ٣٠ وعزاه لأبي يعلى ، وابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وابن عساكر .

(٢) انظر : ابن جرير ، المصدر السابق ٣/ ٤٤ . وفي الأصل : " شيباً " والتصويب من " الوسيط " .

وقوله : ﴿ وَانْظُرْ إِلَى العِظَامِ كَيْفَ نُنْشِرُهَا ﴾ أي نُحييها ، يقال: أنشر الله الميت إذ بعثه ، قال الله تعالى: ﴿ ثُمَّ إذا شَاءَ أَنْشَرَه ﴾ [١] .

ومَنْ قرأ ﴿ نُنْشِزُهَا ﴾ بالزاي ، أي : نرفعها .

ومعنى الآية : كيف نرفعها من الأرض ، فنردها إلى أماكنها من الجسد، ونركب بعضها إلى بعض .

وقوله : ﴿ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِير ﴾ أي : قد علمت مشاهدةً ما كُنْتُ أعلمه غائباً . انتهى [٢]. [٢٤]

[الدليل الخامس] :

قوله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [٣] .

قال أكثر المفسرين[٤] : رأى إبراهيم عليه السلام جيفة بساحل البحر تتناولها السّباع ، والطير ، ودوابُّ البحر ، ففكَّر كيف يجتمع ما قد تفرَّق من تلك الجيفة ، وتطلَّعت نفسه إلى مشاهدة مَيّتٍ يُحْييه ربُّه ، فقال : ﴿ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي المَوْتَى ﴾ .

---

(١) سورة عبس ، آية : ٢٢ .

(٢) الواحدي ، الوسيط ١/ ٣٧٢– ٣٧٤.

(٣) سورة البقرة ، آية : ٢٦٠.

(٤) انظر مثلاً : جامع البيان لابن جرير ٣/ ٤٩ ، ومعالم التنزيل للبغوي ١/ ٢٤٧ بتحقيق : خالد العك ، ط . الأولى ١٤٠٦ هـ . والدر المنثور للسيوطي ٢/ ٣٢.

فقال الله تعالى : ﴿ أَوَ لَـمْ تُؤْمِنْ ﴾ ؟ وهذه الألف للإيجاب والتقرير، يعنـي : أوَ لست قد آمنت ؟ . ﴿ قَالَ بَلَى وَلَكِـنْ لِيَطْمَـئِنَّ قَلْبِـي﴾ برؤيــة مـا أُحـبّ وأشتهي مُشَاهَدَتَه .

قال الحسن[١]: (وكان إبراهيم موقنـاً بـأنَّ الله يُحْيِـي المـوتى، ولا يكـون الخبر عند ابن آدم كالمعاينة)[٢] .

وقال سعيد بن جبير[٣]: ﴿ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ﴾أي :/ لأزداد إيماناً[٤]. **[٢٥]**

قال الله تعالى : ﴿ فَخُذْ أَرْبَعَـةً مِـنَ الطَّـيْرِ ﴾. قـال ابـن عبَّـاس : (أخـذ طاووساً ، ونسراً ، وغراباً ، وديكاً)[٥].

﴿ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ﴾[٦] قال: أكثر أهل اللغة والتفسير: [" أَمِلْهُـنَّ إليـك، يعني : وَجِّهْهُنَّ إليك، يُقَال : صُرته أَصُوْرُهُ إذا أَمَلْتُهُ] [٧]" [١] .

---

(١) هو : الحسن بن أبي الحسن البصري ، واسم أبيه : يسار ، الأنصاري ، مولاهـم، ثقـةٌ، فقيهٌ ، فاضلٌ ، مشهورٌ ، وكان يرسل كثيراً ويُدَلّس ، ت ١١٠ هـ ، وقد قارب التسعين .
ابن حجر : التقريب ١/ ١٦٥.

(٢) * ابن الجوزي ، زاد المسير ١/ ٢٧٣ بتحقيق : محمَّد بن عبد الرحمن عبد الله . ط . الأولى ١٤٠٧ هـ ، دار الفكر .
*د . محمد عبد الرحيم ، تفسير الحسن البصري ١/ ١٩٢ ، نشر : دار الحديث بالقاهرة .

(٣) سعيد بن جبير الأسدي مولاهم ، الكوفي ، ثقةٌ ، ثبتٌ ، فقيهٌ .. قُتِلَ بين يديّ الحجاج سنة ٩٥ هـ ، ولم يُكمِل الخمسين . التقريب ١/ ٢٩٢ .

(٤) ابن جرير : جامع البيان ٣/ ٥٢ برقم ٢٩٨٥ .
وانظر الآثار أرقام : ٥٩٧٦ ، ٥٩٧٧ ، ٥٩٨٢ ، ٥٩٨٣.

(٥) * عزاه إليه ابن الجوزي في : زاد المسير ١/ ٢٧٣.

(٦) في الأصل في الحاشية.

(٧) ما بين الحاصرتين ساقط من طبعة الوسيط التي اعتمدت عليها، وهو موجودٌ في الأصل الخطي له (ق ٩٦ / آ) فلم رقم ٤٤١١ ، محفوظة بقسم المخطوطات بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

وقال ابن عبَّاس ، وسعيد بن جبير ، والحسن، ومجاهد : (قَطِّعْهُنَّ، يقال: صَارَ الشيءَ يَصُوْرُهُ إذا قطَّعه) [٢] .

وقرأ حمزة: بكسر الصاد[٣]. قال الأخفش: يقال: صاره يصيرُه إذا قطعه.

وتقدير الآية : خُذْ إليك أربعة من الطير فصرهن .

﴿ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءاً ﴾. قال المفسرون [٤] : أمره الله أن يذبح تلك الطيور، وينتف ريشها، ويقطعَها، ويُفَرّق أجزاءَها، ويخلط ريشها، ودماءها، ولحومها ، بعضها ببعض، ثُمَّ يُجَزِّئهنَّ أربعة أجزاء ، على أربعة أجْبُلٍ[٥]، ففعل ذلك إبراهيم ، وأمسك رؤوسهنَّ عنده، ثُمَّ دعاهُنَّ : تعالين بإذن الله . فجعلنَ[٦] أجزاءُ الطيور تطير بعضها إلى بعض ، ثُمَّ أتته[١]

---

(١) انظر: الزجَّاج، معاني القرآن ١/ ٣٤٥، وابن جرير:جامع البيان ٣/ ٥٣، وابن الجوزي:زاد المسير ١/ ٢٧٣.

(٢) أخرجه عن ابن عباس ومجاهد : ابن جرير ، جامع البيان ٣/ ٥٥ – ٥٦ برقم ٥٩٩٥ و٥٩٩٦، و٦٠٠١.

وأورده السيوطي في الدر المنثور ٢/ ٣٥ ، وعزاه لسعيد بن منصور ، وعبد بن حميد ، وابن جرير، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، والبيهقي في الشعب ، من طرقٍ عن ابن عبَّاس .

وأورده من طريق سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، وعزاه لابن جرير ، وابن أبي حاتم

(٣) انظر : ابن الجوزي : النشر في القراءات العشر ٢/ ٢٣٢ ، نشر : دار الكتب العلمية .

وحمزة هو : ابن حبيب بن عمارة بن إسماعيل ، الإمام الحبر ، أبو عمارة الكوفي ، التيمي مولاهم ، وقيل : من صميمهم، الزيات ، أحد القُرَّاء السبعة ، وُلِدَ سنة ٨٠ هـ وتوفي سنة ١٥٦ هـ ، وقيل : أربعٍ . وقيل : ثمان. ابن الجزري : غاية النهاية في طبقات القُرَّاء ١/ ٢٦١ ، نشر بعناية : ج . بر جستراسر .

(٤) انظر : ابن جرير ، جامع البيان ٣/ ٥٩ – ٦٠ ، وابن الجوزي : زاد المسير ١/ ٢٧٤.

(٥) في الحاشية توجد عبارة : لعلَّه " أجبال " . وكلاهما جائز ، فيجمع " جبل " على " أَجْبُل " و " أجبال ". انظر : اللسان ١١/ ٩٦.

(٦) في " الوسيط " : " فجعلت " ١/ ٣٧٦.

سعياً على / أرجلهنَّ ، وتلقّى كل طائرٍ رأسه ، فذلك قوله : ﴿ ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْياً ﴾ . [٢٦]

﴿ وَاعْلَم أَنَّ الله عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ ، ﴿ عَزِيزٌ ﴾ : لا يمتنع عليه ما يُريد .

﴿ حَكِيمٌ ﴾ فيما يريد ويفعل . انتهى من تفسير الإمام الواحدي رحمه الله [٢] .

[الدليل السادس] :

وقوله عزَّ وجلَّ : ﴿ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ وَعْدًا عَلَيْنَآ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴾ [٣] .

قال الإمام ابن عطية : (يحتمل معنيين ، أحدهما : أنْ يكون خبراً عن البعث ، أي : كما اخترعنا الخلق أولاً على غير مثال ، فكذلك نُنْشِئهم تارةً أُخرى ، فنبعثهم من القبور .

والثاني : أن يكون خبراً عن أنَّ كل شخصٍ يُبْعَث يوم القيامة على هيئته التي أُخْرِجَ [٤] بها إلى الدُّنيا .

ويؤيد هذا التأويل أنَّ رسول الله ﷺ قال : ((يُحشر النَّاس يوم القيامة حُفاةً ، عُراةً ، غُرْلاً – أي غير مختونين – ﴿ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ ﴾ [٥])) [١] الآية .

---

(١) في " الوسيط " : " أتينه ".

(٢) الوسيط ١/ ٣٧٤ – ٣٧٦.

(٣) سورة الأنبياء ، آية : ١٠٤.

(٤) في " المحرَّر " : " خرج ".

(٥) خ : كتاب التفسير ، باب كما بدأنا أول خلقٍ نعيده ٨/ ٤٣٧ ح ٤٧٤٠ من حديث ابن عباس.
م : كتاب الجنة ، باب فناء الدنيا وبيان الحشر ٤/ ١٩٤ ح ٢٨٦٠ من حديث ابن عباس، وبرقم ٢٨٥٩ من حديث عائشة وليس فيه ذكر الآية.

ومن تفسير الإمام الواحدي رحمه الله : ((قوله عزَّ وجلَّ : ﴿ **كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ** ﴾ : كما / خلقناكم ابتداءً حُفَاةً ، عراةً ، غرْلاً ، كذلك [٢٧] نعيدكم يوم القيامة .

﴿ **وَعْداً عَلَيْنَا** ﴾ أي : وعدناه وعداً .

﴿ **إِنَّا كُنَّا فَاعِلِين** ﴾ : يعني لإعادة البعث [٢] .

[الدليل السابع] :

وقوله عزَّ وجلَّ : ﴿ أَيَحْسَبُ الإِنْسَان ﴾ [٣] الآية .

يعني : الكافر بالبعث . ﴿ **أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ** ﴾ قال ابن عبَّاس: "يريد أبا جهل " [٤]، يقول : أيحسب أَلَّن يُبْعَث .

﴿ **بَلَى** ﴾ نجمعها ، ﴿ **قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّي بَنَانَه** ﴾ [٥] على ما كانت وإنْ قَلَّ عظامها وصغرت ، فنردّها كما كانت ونُؤَلّف بينها حتَّى يستوي البنان .

---

(١) المحرَّر الوجيز ١١/ ١٦٩.

(٢) الوسيط ٣/ ٢٥٤ . وانظر مخطوط الوسيط رقم ٤٤١١ بقسم المخطوطات في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة . الربع الثالث (ق ٥٥ / آ).

(٣) سورة القيامة ، آية : ٣.

(٤) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٨/ ١٣٤، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن ١٩/ ٦١ ط .الأولى ، نشر دار الكتب العلمية .

وذكر البغوي أنَّ الآية نزلت في " عدي بن ربيعة " حليف بني زهرة ، قال : أتى النَّبِيَّ ﷺ فقال : يا محمَّد ، حدّثني عن القيامة متى تكون ؟ وكيف أمرها وحالها ، فأخبره النّبيُّ ﷺ ، فقال : لو عاينت ذلك اليوم لم أصدقك ، ولم أؤمن بك ، أَوَ يَجمَع الله العظام ؟ فأنزل الله ﴿ أَيَحْسَبُ الإِنْسَان ... ﴾ .

معالم التنزيل ٤/ ٤٢١ .

وأشار إلى ذلك أيضاً : ابن الجوزي ، والقرطبي.

(٥) سورة القيامة ، آية : ٤.

ومَنْ قدر على جمع صِغَار العظام كان على جمع كبارها أقدر. وهذا قول الزجَّاج[١]، وابن قتيبة[٢] .

والمفسرون[٣] قالوا : يجعلها كخف البعير ، أو كحافر الدَّابة .

والمعنى : يجعل بنانه مع كفه صفيحةً مستويةً لا شقوق فيها ، فيعدم الارتفاق[٤] بالأعمال اللطيفة ، وكالكتابة ، والخياطة . انتهى من تفسير الإمام الواحدي [٥] .

ومن تفسير ابن عطية رحمه الله تعالى في هذه الآية الكريمة : ﴿أَيَحْسَبُ الإِنْسَان أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ بَلَى / قَادِرِين عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَه﴾ . [٢٨]

" هذا تقريرٌ وتوبيخٌ . والإنسان : اسم جنس . وهذه أقوال كانت لكفَّار قريش فعليها[٦] هو الرَّد ، فكأنَّ الكفَّار لَمَّا استبعدوا جمع العظام بعد الفناء، والإرمام، قيل لهم: إنَّما تُجْمَعُ و يُسوَّى أكثرهم تفريقاً [٧]، وأدقها جزءاً[٨]، وهي عظام الأنامل ، ومفاصلها ، وهذا كلّه عند البعث.

---

(١) انظر : معاني القرآن ٥/ ٢٥١.

(٢) تأويل مشكل القرآن ص ٣٤٦.

(٣) انظر: ابن جرير: جامع البيان ١٢/ ٣٢٨، ورواه عن ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، والضَّحَّاك، وعكرمة .

وانظر : تفسير القرآن ، لعبد الرَّزَّاق بن همام ٢/ ٣٣٣ أخرجه عن ابن عبَّاس ، وقتادة . بتحقيق : مصطفى مسلم ، نشر : مكتبة الرشد . وانظر : الدر المنثور ٨/ ٣٤٣ ، وانظر : زاد المسير ٨/ ١٣٤ .

(٤) أي : الانتفاع . وفي اللسان : يُقَال : أرفقته ، أي : نفعته ... والمَرْفِق من الأمر هو ما ارتفقت وانتفعت به. ١٠/ ١١٨ – ١١٩ .

(٥)الوسيط ٤/ ٣٩٠ – ٣٩١.

(٦) كذا في الأصل ، وفي : " المحرَّر " .

(٧) في " المحرَّر " : " تفرُّقاً ".

(٨) في " المحرَّر " : " أجزاء ".

وقال ابن عبَّاس: ﴿ نُسَوِّيَ بَنَانَه ﴾ في حياته هذه ، بضعةً أو عظماً واحداً كخُفّ البعير لا تفاريق فيه "[١] .

فكأنَّ المعنى : قادرين الآن في الدُّنيا على أن نجعلها دون تَفَرُّق، فتقل منفعته بيده .

قال أبو محمَّد : فكأنَّ التقدير : بل نحن أهل أنْ نجمعها ، قادرين الآن على إزالة منفعته بيده .

والقول الأوَّل أجرى من رصف[٢] الكلام "[٣] . انتهى .

[الدليل الثامن] :

وقوله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ ﴾ [٤] .

والنشأة الأُخرى هي : إعادة الأجسام إلى الجِدَّةِ بعد البلى في التُّراب[٥] .

.

[الدليل التَّاسع] :

وقوله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴾ [٦] .

---

(١) أخرجه ابن جرير وغيره عن ابن عباس وغيره ، بألفاظٍ مختلفة .
انظر : جامع البيان ١٢/ ٣٢٨ ، وقد تقدَّمت الإشارة إلى ذلك .

(٢) في الأصل : " وصف ".

(٣) المحرَّر الوجيز ١٦/ ١٧٢ – ١٧٣.

(٤) سورة النَّجم ، آية : ٤٧.

(٥) انظر : المحرَّر الوجيز ١٥/ ٢٨٢ – ٢٨٣ ، وفيه : " الحشر " بدل " الجِدَّة ".

(٦) سورة يس ، آية : ٥١.

الأجداث / : القبور . وقوله : ﴿ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ ﴾ أي : يخرجون من [٢٩] قبورهم أحياء ، يقولون : ﴿ يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا ﴾ (١)

قال المفسرون(٢): إنَّما يقولون هذا ؛ لأنَّ الله تعالى رفع عنهم العذاب فيما بين النَّفختين ، فيرقدون ، فلمَّا بُعِثُوا في النَّفخة الأُخرى ، وعاينوا القيامة دعوا بالويل . فقالت الملائكة(٣): ﴿ هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَن ﴾ أي على ألسنة الرُّسُل أنَّه يبعثهم بعد الموت . ﴿ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُون ﴾ في وَعْدِ البعثِ." انتهى من تفسير الإمام الواحدي رحمه الله (٤) .

[الدليل العاشر] :

وقوله عزَّ وجلَّ في قِصَّةِ البَقَرَةِ .

من تفسير الإمام ابن عطية رحمه الله ، قوله عزَّ وجلَّ : ﴿ **فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا** ﴾ (٥): آيةٌ مِن الله تعالى على يد موسى عليه السلام ، بأنْ أمرهم أن يضربوا(٦) ببعض البقرة القتيل فيحيا، ويخبر بقاتله. وقيل : ضربوا قبره .

---

(١) سورة يس ، آية : ٥٢.

(٢) انظر : ابن جرير : جامع البيان ١٠/ ٤٥٠ – ٤٥١ ، فقد روى عن أُبَيِّ بن كعب ، وقتادة ، ومجاهد ، أنَّهم قالوا : " الرَّقْدَة بين النَّفختين " .

وانظر : الدر المنثور ٧/ ٦٣ . وانظر أيضاً : زاد المسير ٦/ ٢٧٥ ، فقد ورد فيه نص المؤلّف . وانظر : تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٦/ ٥٦٧ .

(٣) هذا قول ، وهو مروي عن الحسن .

وهناك قولٌ آخر ، وهو أنَّ قائل ذلك هم المؤمنون . قال ابن كثير : قاله غير واحد من السلف، ثُمَّ قال : ولا منافاة إذ الجمع ممكن ، والله أعلم . تفسير القرآن العظيم ٦/ ٥٦٨ .

(٤) الوسيط ٣/ ٥١٦.

(٥) سورة البقرة ، آية : ٧٣ .

(٦) في الأصل : " يضربوه " ، والتصويب من " المحرَّر ".

وقال ابن عبَّاس : " إنَّ أمر القتيل وَقَعَ قَبْلَ جواز البحر ، وأنَّهم داموا في طلب البقرة أربعين سنة " [١] .

وقيل : ضربوا القبر باللحمة التي بين الكتفين [٢] .

وقيل: بالفخذ [٣]/ . وقيل: باللسان. وقيل: غير هذا. [٣٠]

وقوله: ﴿كَذَٰلِكَ يُحۡيِ ٱللَّهُ ٱلۡمَوۡتَىٰ﴾ : الإشارة بكذلك إلى الإحياء الذي تضَمَّنه قصص الآية. إذ في الكلام حذفٌ ، تقديره : فضربوه فحيي.

وفي هذه الآية : حضٌّ على العِبْرَةِ ، ودلالةٌ على البعثِ في الآخرة .

وظاهرها أنَّها خطاب لبني إسرائيل حين[٤] حكى لمحمَّد عليه السلام[٥] يعتبرُ بها[٦] إلى يومِ القيامة .

ورُوِيَ أنَّ هذا القتيل حَيِي وأخبر بقاتله ، ثُمَّ عاد ميتاً كما كان [٧] .

انتهى [٨] .

قال الله العظيم : ﴿ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللهِ بِعَزِيزٍ ﴾ [٩] أي : بممتنع.

---

(١) أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عبَّاس : " أنَّ أصحاب بقرة بني إسرائيل طلبوها أربعين سنة " . تفسير القرآن العظيم : ق ١ / البقرة : ٢٢٩ برقم ٧٥٥ . بتحقيق : أحمد عبد الله العماري .

(٢) في " المحرَّر " : " قال السُدّي " . وانظر : جامع البيان ١/ ٤٠٣.

(٣) في " المحرَّر " : " وقال مجاهد وقتادة وعبيدة السلماني " . وانظر : جامع البيان ١/ ٤٠٣ .

(٤) في " المحرَّر " : " حينئذٍ ".

(٥) في " المحرَّر " : " صلّى الله عليه وسلَّم " . وهو الأكمل والأولى في حقّه صلَّى الله عليه وسلَّم.

(٦) في " المحرَّر " : " ليعتبر به ".

(٧) رُوِيَ ذلك عن : عكرمة ، ومجاهد ، وقتادة ، والسدّي ، وأبي العالية ، وغيرهم .
انظر : ابن جرير : جامع البيان ١/ ٤٠٣.

(٨) المحرَّر الوجيز ١/ ٢٦٢.

(٩) سورة فاطر ، آية : ١٧.

[الدليل الحادي عشر] :

وقوله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَقَالُوٓاْ أَءِذَا ضَلَلۡنَا فِى ٱلۡأَرۡضِ أَءِنَّا لَفِى خَلۡقٍ جَدِيدٍۭ بَلۡ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمۡ كَٰفِرُونَ ﴾ (١) .

الضمير في ﴿ قَالُوا ﴾ لِلكُفَّار الجاحدين البعث من القبور ، المستبعدين لذلك دون حجَّة ولا دليل .

وقوله : ﴿ أَءِنَّا لَفِى خَلۡقٍ جَدِيدٍۭ ﴾ معناه عندهم لا نُعادُ (٢) ، أعاذنا الله من الكُفْر .

و ﴿ ضَلَلۡنَا ﴾ : تلفنا وتَقَطَّعت أوصالنا ، فذهبنا حتَّى لَمْ نوجد . وقولهم: ﴿ أَءِنَّا لَفِى خَلۡقٍ جَدِيدٍۭ ﴾ أي : إنَّا لفي هذه الحالة نُعادُ و يُجَدَّدُ خَلْقُنَا .

وقوله: ﴿ يَتَوَفَّاكُمْ ﴾ معناه: يستوفيكم. انتهى (٣)/ . [٣١]

[الدليل الثاني عشر] :

وقوله عزَّ وجلَّ : ﴿ كَمَا بَدَأَكُمۡ تَعُودُونَ ﴾ (٤) .

من تفسير الإمام الواحدي : " قال الحسن ومجاهد : كَمَا بَدَأَكُمْ فخلقكم في الدُّنيا ولم تكونوا شيئاً، كذلك تعودون يوم القيامةِ أحياءً" (٥).

---

(١) سورة السجدة ، آية : ١٠ .

(٢) في " المحرَّر " : " لنعاد " وليس في الجملة التي بعدها.

(٣) المحرَّر الوجيز ١٣/ ٣٣ – ٣٤

(٤) سورة الأعراف ، آية : ٢٩ . وفي الأصل : " بدأناكم " وهو تحريف.

(٥) انظر : ابن جرير ، جامع البيان ٥/ ٤٦٧ رقم ١٤٥٠٠ ، ١٤٥٠١.

وهذا القول اختيار الزَّجَّاج ؛ لأَنَّه قال : " احتجَّ الله تعالى عليهم في إنكارهم البعث ، فقال : ﴿ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾ أي : فليس بعثكم بأشد من ابتدائكم " [1] .

وقيل : ﴿ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾ : يُبْعَثُ المؤمن مؤمناً، والكافرُ كافراً[2]

وقيل : مَن[3] ابتدأ الله خلقه على الشقاوة صار لِمَا ابتُدِئَ عليه خلقه، وإن عمِلَ بأعمال أهل السعادة ، ومَن ابتدأ خلقه على السعادة صار إلى ما ابتُدِئَ عليه خلقه ، وإن عمل بأعمال أهل الشقاءِ[4]"[5]. سبحانه يفعل ما يشاء، لا يُسْئَلُ عمَّا يفعل وهُمْ يُسْئَلون .

[الدليل الثالث عشر] :

وقوله ﷻ : ﴿ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾ [6] .

من تفسير الإمام الواحدي رحمه الله تعالى : يعني : يوم القيامة .

---

(١) معاني القرآن ٢/ ١٣١.

(٢) انظر : ابن جرير ، جامع البيان ٥/ ٤٦٥ – ٤٦٦ ، أخرجه عن عددٍ من أئمة التفسير . ثُمَّ رجَّح القول الأوَّل فقال : "وأولى الأقوال في تأويل ذلك بالصواب ، القول الذي قاله مَنْ قال : معناه : كما بدأكم الله خلقاً بعد أن لم تكونوا شيئاً ، تعودون بعد فنائكم خلقاً مثله يحشركم إلى يوم القيامة " ٥/ ٤٦٧.

(٣) في الأصل مكررة.

(٤) أخرجه ابن جرير عن محمد بن كعب ، جامع البيان ٥/ ٤٦٦ رقم ١٤٤٨٩ .

(٥) الوسيط ٢/ ٣٦١ مع تقديم وتأخير.

(٦) سورة يس ، آية : ٦٥.

قال المفسرون : " إنَّهم ينكرون / الشرك ، وتكذيب الرُّسل ، و﴿**قَالُوا وَاللهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ**﴾ [١] ، فختم الله على أفواههم وتكلَّمت جوارحهم بإذن الله تعالى لهم في الكلام ، فشهدت عليهم بما عملوا " [٢] . [٣٢]

ومن تفسير الإمام ابن عطية في قوله : ﴿ **ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ** ﴾ الآية ؛ أي : في ذلك اليوم يوم القيامة يكون ذلك .

ورُوِيَ في ذلك [٣] المعنى : أنَّ الله تعالى يجعل الكفرة يخاصمون ، فإذا لم يأتوا بشيءٍ تقوم به حجة ، رجعوا إلى الإنكار، فَنَاكَرُوا الملائكةَ في الأعمال، فعند ذلك يختم الله تعالى على أفواهِهِم فلا ينطقون بحرف، ويأمر الله تعالى جوارحهم بالشهادة فيشهدون .

وروى عقبة بن عامر [٤] عن النَّبيّ ﷺ : ((**أنَّ أوَّل مايتكلَّم من الكافر فخذه اليُسْرَى**))[٥]. وقال أبو سعيد الخدري: ((**اليمنى ثُمَّ سائر جوارحه**))[٦].

---

(١) سورة الأنعام ، آية : ٢٣.

(٢) الوسيط ٣/ ٥١٨.

(٣) في " المحرَّر " : " هذا ".

(٤) الجهني ، صحابي مشهور ، وَلِيَ إمرة مصر لمعاوية ثلاث سنين ، وكان فقيهاً فاضلاً . مات في قرب الستين . ابن حجر : التقريب ٢/ ٢٧

(٥) أخرجه ابن جرير : جامع البيان ١٠/ ٤٥٨ برقم ٢٩٢١٥ .

* أورده السيوطي في : الدر المنثور ٧/ ٦٨ وعزاه لأحمد ، وابن جرير ، وابن أبي حاتم ، والطبراني.

(٦) أخرج ذلك ابن جرير عن أبي موسى الأشعري . جامع البيان ١٠/ ٤٥٨ رقم ٢٩٢١٢

- وأورده السيوطي في الدر ٧/ ٦٨ وعزاه لابن جرير ، وابن أبي حاتم .
- وأورده السيوطي ، عن الحسن ، وعزاه لعبد بن حميد ٧/ ٦٩.

ورُوِيَ : أنَّ بعض الكفرة يقول يومئذٍ لجوارحه : تّباً لَكِ وسحْقاً ، فَعَنْكِ كُنْت أُماحل . ونحو هذا من المعنى [(١)] . انتهى [(٢)] .

ونحو هذا في حديث مسلم في/ الصحيح أوله: (**قالوا : يارسول الله ، هل نرى ربنا يوم القيامه ؟ قال : هل تضارُّون في رؤية الشمس في الظُّهر ليست في سحابةٍ ؟ قالوا : لا ، قال : فهل تضارُّون في رؤية القمر ليلة البدر ليس في سحابةٍ ؟ قالوا : لا . قال : فو الذي نفسي بيده لا تُضَارُّون في رؤية ربكم إلاَّ كما تضارُّون في رؤية أحدهما. قال : فيلقى العبدَ فيقول : أي فُلُ أَلَمْ أُكْرِمْكَ ، وأُسَوّدْكَ ، وأُزَوّجْكَ ، وأُسَخِّر لك الخيْل والإبل . وأذرك ترأس ، وتربع ؟ ، فيقول : بلى ، فيقول : أي فُلُ : أفظننت أنَّك مُلاَقِيَّ ؟ فيقول : لا ، فيقول : فإني أنساك كما نسيتني .** [٣٣]

ثُمَّ يَلْقَى الثاني : فيقول : أي فُلُ أَلَمْ أُكْرِمْكَ ، و أُسَوّدْكَ ، وأُزَوّجْكَ ، وأُسَخّرْ لَكَ الخَيْلَ والإبِلَ، و أَذَركَ تَرْأَسُ وَ تَرْبَعُ ؟ فيقول : بلى يارَبّ . فيقول : أَفَظَننت أنَّك مُلاَقِيَّ ؟ قال : فيقول : لا . فيقول : فإني أنساك كما نسيتني . ثُمَّ يلقى الثَّالث ، فيقول له مثل ذلك ، فيقول : ياربّ آمنت بك، وبكتابِكَ، وبِرُسُلِكَ ، وصَلَّيْتُ، وصُمْتُ، وتَصَدَّقتُ، ويثني بخيرٍ ما استطاع فيقول : هاهُنا [(٣)] إذَن . قال: ثُمَّ يقول : الآن نبعَثُ [(٤)] شاهِدَنا

---

(١) أخرج هذا المعنى ابن جرير ، جامع البيان ١٠/٤٥٨ رقم ٢٩٢١٣ .
صحيح مسلم ح ٢٩٦٩.
(٢) المحرَّر الوجيز ١٣/ ٢١١.
(٣) في الأصل : " أهاهنا " وهو تحريف.
(٤) في الأصل : " يُبْعَثُ ".

عليك ، ويتفكَّر في نفسه/ مَنْ ذا الَّذي يشهد عليَّ ؟ فَيُخْتَمُ على فيه، ويقال [٣٤] لفخذه [ولحمه وعظامه][١] : انطقي ، فينطق فخذه ، ولحمه ، وعظامُه بعمله، وذلك ليعذر من نفسه ، فذلك[٢] المنافق، وكذلك الذي سخط الله عليه) [٣] .

وفي رواية أُخرى عن أنس بن مالك قال : كُنَّا عند رسول الله ﷺ فضحك ، فقال: "هل تدرون مِمَّ[٤] أضحك ؟ قال: قلنا : الله ورسوله أعلم، [قال : مِنْ][٥] مخاطبة العبد ربه ، يقول : ياربّ أَلَمْ تُجِرني من الظلم ؟ قال: يقول: بلى . قال : فيقول : فإني لا أجيز على نفسي إلاَّ شاهِداً منّي ، فيقول: كفى بنفسك اليوم عليك شهيداً[٦] ، وبالكرام الكاتبين عليك شهوداً شهوداً . قال : فَيخْتَمُ على فِيهِ ، فيُقَال لأركانه انطقي ، قال : فتنطق بأعماله . قال: ثُمَّ يُخَلَّى بينه وبين الكلام . قال : فيقول : بُعْداً لَكُنَّ وسحقاً فعنْكُنَّ كنتُ أُناضل"[٧].

---

(١) ساقطة في الأصل.

(٢) في صحيح مسلم " وذلك ".

(٣) م / كتاب الزهد والرقائق ٤/ ٢٢٧٩ ح ٢٩٦٨.

(٤) في الأصل : " مما ".

(٥) في الأصل : " إن مخاطبة .. ".

(٦) في الأصل : " كفى بنفسك عليك حسيبا ".

(٧) م/ كتاب الزهد ٤/ ٢٢٨٠ ح ٢٩٦٩.

شرح بعض ألفاظ مشكل هذا الحديث :

قوله ﷺ في الرُّؤيا يوم القيامة لمن ليس له شبيه ولا نظير ولا ند سبحانه وتعالى : " هل تضارُّون ؟ / .وفي أُخرى : هل تضامون" . والأصل فيه من "الضير " والأصل فيه تضيرون . والمعنى : لا يخالف بعضكم بعضاً ، ولا تتنازعون . وقيل : لا يحجب بعضُكم بعضاً في الجدال . ويقال : ضَارَرتُه مَضَارَّة إذا خالفته . [٣٥]

وأمَّا من روى : " لا تُضامُّون " بالميم وتشديدها ، فمعناه : لا ينضَمُّ بعضكم لبعضٍ وقت النظر كما يفعلون بالهلال .

ومَنْ رواه بتخفيف الميم ، فمعناه : لاينالكم ضيم في رؤيته سبحانه ، فيراه بعض دون بعض ، بل يستوون في الرؤية ، انتهى من الإكمال [١] .

أجمع أهل السُّنَّة[٢] على أنَّ الله تعالى يراه المؤمنون في الأخرة كما في كتاب الله ، قال الله تعالى : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ [٣] .

قال ابن عبَّاس في رواية عطاء[٤]: " يريد إلى الله تعالى ناضرة " [٥] .

---

(١) قارن بإكمال إكمال المعلم ، لأبي عبدالله محمَّد بن خلفة الإبي ١/ ٣٣٦ نشر : دار الكتب.

(٢) انظر : ابن القيم ، حادي الأرواح ص ٤٠٢ بتحقيق : يوسف علي ، ط . الأولى ١٤١٤هـ.
وانظر : عبدالعزيز الرومي ، دلالة القرآن والأثر على رؤية الله تعالى بالبصر ص ٢٧ . ومقدمة تحقيق "الرؤية " للدار قطني ص ٥٧ تحقيق : إبراهيم العلي ، ط . ١٤١١ هـ

(٣) سورة القيامة ، آية : ٢٢ _ ٢٣.

(٤) ابن أبي رباح ، واسم أبي رباح أسلم القرشي ، مولاهم ، ثقةٌ ، فقيهٌ ، فاضلٌ لكنّه كثير الإرسال ، ت ١١٤ هـ. ابن حجر : التقريب ٢/ ٢٢.

(٥) انظر : ابن الجوزي ، زاد المسير ٨/ ١٣٨. وانظر : السيوطي : الدر المنثور ٤ / ٣٥٠

وقال في رواية الكلبي [١] : " ينظر إلى الله يومئذٍ لا يحجب عنه" [٢] .

وقال مقاتل : " تنظر إلى ربها معاينةً " [٣] .

وقال الحسن : " حق لها أن تَنْضُرَ ، أي تُنَعَّم وهي تنظُر إلى الخالق " [٤].

وقال الزجَّاج : / " نَضُرَتْ بنعيم الجَنَّة والنَّظر إلى ربها ﷻ" [٥]. [٣٦]

وبسنده [٦] إلى النَّبِيّ ﷺ قال : ((**إذا دخل أهل الجنَّة الجنَّة ، يقول الله: تريدون شيئاً أزيدكم ؟ فيقولون : أَلَمْ تُبَيِّضْ وجوهنا . أَلَمْ تُدخِلنَا الجنَّة ، وتُنَجِّنا مِنَ النَّار ؟ قال : فيكْشِفُ الحجابَ ، فَمَا أُعطوا شيئاً أحب إليهم من النَّظَرِ إلى ربهم**)) [٧] .

انتهى من تفسير الإمام الواحدي [٨] .

وقال الغزالي [٩] في عقيدته [١٠] : " سمع موسى كلامه بغير صوت، ولا

ولا

---

(١) محمَّد بن السائب بن بشر الكلبي ، أبو النضر الكوفي ، النسَّابة ، المفسّر ، متهّم بالكذب، ورمي بالرفض ، ت ١٤٦ هـ . ابن حجر : التقريب ٢/ ١٦٣ .

(٢) البغوي : معالم التنزيل ٤/ ٤٢٤ . وانظر : ابن الجوزي : زاد المسير ٨/ ٢٠٣ .

(٣) أخرجه بمعناه الدار قطني في الرؤية ص ١٧٢ رقم ٥٨ .

(٤) أخرجه ابن جرير ، جامع البيان ١٢/ ٣٤٣ برقم ٣٥٦٥٤ . وانظر : البغوي معالم التنزيل ٤/ ٤٢٤ ، السيوطي : الدر المنثور ٨/ ٣٥٠ ، وابن الجوزي : زاد المسير ٨/ ١٣٨ .

(٥) معاني القرآن ٢/ ٢٥٣ .

(٦) يريد : " الواحدي " المفسّر .

(٧) م : كتاب الإيمان، باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربَّهم سبحانه وتعالى ١/ ١٦٣ ح٢٩٧ .

(٨) الوسيط ٤/ ٣٩٣ – ٣٩٤ .

(٩) أبو حامد محمَّد بن محمَّد بن أحمد الطوسي الغزالي (٤٥٠ – ٥٠٥ هـ) أحد أئمة الأشاعرة ومصنفيهم ، ندم في آخر عمره على خوضه في علم الكلام ورجع عنه، ترجم له الذهبي ترجمة مطولة ، وذكر ما له وما عليه. انظر : سير أعلام النبلاء ١٩/ ٣٢٢ – ٣٤٦ .

(١٠) انظر : كتاب الأربعين في أصول الدين ص ١٤ ، نشر المكتبة التجارية الكبرى بمصر .

حرف [١] .

كما يرى الأبرار ذاته من غير جوهرٍ ولا عَرَضٍ " [٢] .

---

(١) يعتقد الأشاعرة أنَّ كلام الله عزَّ وجلَّ معنىً قائم بالنَّفس ، وأنَّ الله لايتكلَّم بحرفٍ وصوت ، بدعوى أنَّ الصوت إنّما يحدث من انسلال هواء واصطكاك أجرام ، وهذا لا يجوز وجوده من ذات الله تعالى . وأنَّ إثبات الحروف يقتضي التعاقب ، وأنْ يقع بعضها مسبوقاً ببعض ، وكل مسبوق حادث .

والحق أنَّ هذه شبهات واهية ، فإنّه لايلزم من إثبات الصوت أن يكون بهذه الكيفية التي زعموها ، فقد ثبت تكلُّم بعض الجمادات ، وذلك كتسليم الحجر على النبي صلَّى الله عليه وسلَّم ، وتسبيح الحصى في يده ، وحنين الجذع إليه عليه الصلاة والسلام . ولم يكن كلامها انسلال هواء ، واصطكاك أجرام ، وليس لها أدوات كاللسان واللهاة ونحو ذلك. وأمَّا دعوى تعاقب الحروف ولزوم الحدوث ، فإنَّ هذا وإن كان لازماً في كلام المخلوق، فإنَّه ليس بلازم في كلام الخالق ﷻ، فقد جاء أنَّ الله عزَّ وجلَّ يقول:"قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، نصفها لي، ونصفها لعبدي، ولعبدي ماسأل فإذا قال العبد: الحمد لله رب العالمين، قال: حمدني عبدي....". أخرجه مسلم برقم ٣٩٥ . والله عزَّ وجلَّ يقول هذا لكل مصلٍ ، والناس يُصَلُّون في ساعةٍ واحدة ، والله تعالى يقول لكّل منهم هذا . فلم يلزم التعاقب .

انظر : درء التعارض لشيخ الإسلام ابن تيمية ٤/ ١٢٩ ، والسجزي : رسالته إلى أهل زبيد ص ١٦٨

وقول الغزالي : " سمع موسى كلامه بغير صوت ....." يحتاج إلى دليلٍ يثبت أنَّ غير الصوت يُسمع ، لأنَّ استماع البشر لا يقع إلاَّ للصوت . وقد انفرد الغزالي من بين الأشاعرة بدعواه هذه . والمعروف عنهم أنَّهم يقولون : " إنَّ الله أفهم موسى كلامه " . وهو إن كان خلاف الصواب ، إلاَّ أنَّ قول الغزالي أشد نكارة منه .

ومذهب أهل السُّنَّة والجماعة في كلام الله عزَّ وجلَّ هو ما دلَّت عليه النصوص من تكلُّم الله ﷻ بحرفٍ وصوتٍ يُسمع، كما جاء في قوله تعالى { فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ } قال الإمام أبو نصر السجزي:

"وما سمع مستجير قط إلاَّ كلاماً ذا حروفٍ وأصوات" .

انظر رسالته إلى أهل زبيد في الرد على من أنكر الحرف والصوت ص ١٥٤ .

وقال صلَّى الله عليه وسلَّم : (يحشر الله النَّاس يوم القيامة عُرَاة ، حُفاة ، بُهْماً ، فيناديهم بصوتٍ يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب : أنا الملك ، أنا الديَّان) . ذكره البخاري تعليقاً ١٣/ ٤٥٣ . وأخرجه الإمام أحمد ٣/ ٤٩٥ ، وصحَّحه الألباني في تخريج السنة لابن أبي عاصم ١/ ٢٢٥ .

(٢) قوله : " من غير جوهر ولا عَرَض " هذه ألفاظ لم ترد في الكتاب ولا في السنة إثباتاً ولا نفياً، فلا فلا تثبت ولا تنفى ، حتى يعرف مقصود قائلها ، فإن كان حقاً قُبِلَ ، وعبر عنه بالألفاظ المشروعة

ومن تفسير الإمام ابن عطية رحمه الله تعالى في قوله عزَّ وجلَّ حاكياً عن موسى : ﴿ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي ﴾ [(١)] : والمعنى أنَّه لَّما كلَّمه الله تعالى وخصَّه بهذه المرتبة، طمحَت همَّته إلى رُتْبةِ الرُّؤْية ، وتشوَّق إلى ذلك ، فسأل ربه أَنْ يُريَه نفسه . قاله السُّدّي[(٢)]، وأبوبكر الهذلي [(٣)]. [(٤)]

الواردة، وإن كان باطلاً رُدَّ . والمعروف عن الأشـاعرة أنَّهم يثبتون رؤية الله في الآخرة من غير مقابلة ، أو لا في جهة . وهو مذهب باطل لمخالفته النصوص الصحيحة الدالة على رؤية المؤمنين ربهم ، وجاء في بعضها التصريح بأنَّهم يرونه من فوقهم.

قال الإمام ابن القيم بعد سرده أحاديث الرؤية : " قد دلَّ القرآن والسُّنَّة المتواترة، وإجماع الصحابة ، وأئمة الإسلام ، أهل الحديث ، عصابة الإسلام ، ونُزُل الإيمان ، وخاصَّة رسول الله ﷺ على أنَّ الله سبحانه وتعالى يُرى يوم القيامة بالإبصار عياناً كما يُرى القمر ليلة البدر صحواً ، وكما تُرى الشمس في الظهيرة ، فإن كان لما أخبر الله ورسوله عنه من ذلك حقيقة ، وإنَّ له والله حق الحقيقة ، فلا يمكن أنْ يروه إلاَّ من فوقهم لاستحالة أن يروه من أسفل منهم أو خلفهم أو أمامهم أو عن يمينهم أو عن شمالهم .... " . حادي الأرواح ص ٤٧٦ ، طبعة دار التراث ١٤١١هـ

(١) سورة الأعراف ، آية : ١٤٣ .

(٢) السُّدّي ، إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة السُدّي _ بضم المهملة وتشديد الدال ، أبو محمَّد الكوفي ، صدوقٌ يهم ، رُمِيَ بالتشيُّع ، وهو صاحب التفسير ، أصله حجازي ، روى عن ابن عباس ، وأنس ، وطائفة ، مات ١٢٧ أو ١٢٨ هـ . انظر ترجمته لدى : ابن حجر ، التقريب ١/ ٧١ ، والداودي : طبقات المفسرين ١٠٩/١ .

(٣) أبوبكر الهذلي ، قيل اسمه : سُلْمَى _ بضم المهملة _ ابن عبدالله ، وقيل : رَوْح ، إخباري، متروك الحديث، ت ١٦٧ هـ . ابن حجر : تقريب ٢/ ٤٠١ .

(٤) أخرجه ابن جرير : جامع البيان ٦/ ٥٠ ، عن السُدّي برقم ١٥٠٨٣ ، وعن أبي بكر الهذلي برقم ١٥٠٨٥ .

وقال الربيع : " ﴿ قَرَّبْناه نَجِيّا ﴾ (١) حتَّى سمع صريف القلم (٢)" (٣).

ورؤية الله عزَّ وجلَّ عند / الأشعرية (٤)، وأهل السُّنَّة جائزة عقلاً ؛ لأَنَّ مِنْ [٣٧] حيث هو موجود تصح رؤيته (٥) ، قالوا : لأنَّ الرؤية للشيء لا تتعلَّق بصفةٍ من صفاته أكثر من الوجود ، إلاَّ أنَّ الشريعة قرَّرت رؤية الله في

---

(١) سورة مريم ، آية : ٥٢.

(٢) في " المحرر " : " الأقلام " ، وعند ابن جرير : " القلم " ، كما أثبته المؤلّف.

(٣) أخرجه ابن جرير ، جامع البيان رقم ١٥٠٨٣.

(٤) الأشعرية ، نسبة إلى الإمام أبي الحسن الأشعري ، وكان في أول أمره على مذهب المعتزلة ، ثم تركه ومال إلى مذهب ابن كلاب ، ثم انتقل أخيراً إلى مذهب السلف . والمنتسبون إليه ، إنما هم على مذهبه الكلابي الذي انتقل إليه بعد تركه الاعتزال .

انظر : الشهرستاني ، الملل والنحل : ١/ ٩٤ ، وغالب عواجي ، فرق معاصرة : ٢/ ٨٥٣ ، ط الأولى ١٤١٤ هـ .

(٥) يعتمد الأشاعرة على دليل الوجود في تجويز رؤية الباري عزَّ وجلَّ ، فيقولون : "الدليل على جواز الرؤية عقلاً : أنَّ الرب سبحانه موجود ، وكل موجود مرئي" هذا نص كلام الجويني في لمع الأدلة ص ١١٥ .

وهذا الدليل لم يسلم من الاعتراضات ، سواء من منكري الرؤية أو مثبتيها ، بل إنَّ الرازي ، وهو من أئمة الأشاعرة المعروفين ، أورد على هذا الدليل اثني عشر اعتراضاً على شكل أسئلة ، اعترف بالعجز عن الجواب عنها ، وارتضى أخيراً أنَّه لا يثبت صحة رؤية الله تعالى بالدليل العقلي ، بل يتمسك في هذه المسألة بظواهر القرآن والحديث . وانظر : تفصيل كلامه في " الأربعين في أصول الدين ص ١٩٧ – ١٩٨ " .

وقال في كتابه " أصول الدين " ص ٦٨ بعد أن ذكر استدلال أصحابه على الرؤية بالوجود، وأنَّ الله تعالى موجود فوجب القول بصحة رؤيته قال : وهذا عندي ضعيف ... ثُمَّ قال : والمختار عندنا أنْ نقول : الدلائل السمعية دالَّة على حصول الرؤية".

الآخرة نصّاً، ومنعت مِن ذلك في الدُّنيا بظواهر من الشرع[١] ؛ فموسى عليه السلام لم يسأل ربَّه مُحالاً ، وإنَّما سأل موسى جائزاً[٢].

وقوله تعالى : ﴿ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ ﴾ [٣] الآية ، ليس بجواب مِنْ سأل مُحالاً ، وقد قال تعالى لنوحٍ : ﴿ فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴾ [٤] . فلو سأل موسى مُحالاً لكان في الجواب زجرٌ ما ، وتبيين .

وقوله تعالى : ﴿ لَن تَرَىٰنِي ﴾ نَصٌّ من الله عزَّ وجلَّ على منعه الرؤية في الدُّنْيا ، و ﴿ لَن ﴾ تنفي الفعل المستقبل ، ولو بقينا من هذا النَّفي بمجرده لقضينا أنَّه لا يراه موسى أبداً ولا في الآخرة [٥] .

لكن ورد مِنْ جِهَةٍ أخرى بالحديث المتواتر[٦] ، أنَّ أهل الإيمان يرون الله تعالى يوم القيامة ، فموسى عليه السلام أحرى برؤيته/ . [٣٨]

---

(١) من أصح النُّصوص وأصرحها في ذلك قوله صلَّى الله عليه وسلَّم : (تعلموا أنَّه لن يرى أحد منكم ربه عزَّ وجلَّ حتَّى يموت) . أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ٢٢٤٥ كتاب الفتن ، باب ذكر ابن صياد.

(٢) ليست في " المحرَّر ".

(٣) سورة الأعراف ، آية : ١٤٣.

(٤) سورة هود ، آية : ١٤٦.

(٥) الصحيح أن النفي بـ (لن) لا يفيد التأبيد حتى لو اقترنت بلفظ التأبيد ، فكيف إذا خلت عنه ، وقد قال جل وعلا عن الكفار " ولن يتمنوه أبداً " ، ثُمَّ أخبر أنهم تمنوه في الآخرة ، فقال : " ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك " ، فدل على أن لن لا تفيد التأبيد .

وقال ابن مالك : ومن رأى النفي بلن مؤبداً فقوله اردد وخلافه اعضدا. انظر : الكافية له.

(٦) نص على تواترها الإمام ابن القيم ، وعَدَّ أكثر من اثنين وعشرين صحابياً رووها عن رسول الله ﷺ . انظر : حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح ص ٤١٦ . بتحقيق : يوسف بديوي ، نشر مكتبة التراث . وأيضا : نظم المتناثر من الحديث المتواتر للكتاني ص ١٥٣ .

وقال مجاهد وغيره : " إنَّ الله عزَّ وجلَّ قال له : يا موسى لَنْ تراني ، ولكن سأتجلَّى للجبل الذي هو أقوى منك وأشد ، فإن استقرَّ ، وأطاق الصبر لهيبتي ، فستُمْكِنُكَ أنت رؤيتي " [١].

قال أبو محمَّد : فعلى هذا إنما جعل الله الجبل مثالاً .

وقالت فرقة : " إنَّما المعنى : سأتبدَّى لك على الجبل ، فإنِ استقرَّ لعظمتي فسوف تراني " [٢] .

وقوله : (وأذرك ترأسُ وترْبَعُ ، وقيل : تَرْتَع بالتَّاء من فوقها) قيل : معنى " تربع " : تأخذ المرباع الذي كانت تأخذه الملوك .

ويظهر لي أنْ أَوْجَه معانيه أن يكون معناه : تتودع الانتجاع إلى نجعة وطلب ، من قولهم : أربع على نفسك ، أي : ارفق بها واثبُتْ ، وبه فُسّر قوله عليه السلام : " غَيْثاً مربعاً " [٣]

وأمَّا على الرواية الأُخرى ، فمعنى (ترتع) : تنعم ، وقد اختلف المفسرون في قوله تعالى : ﴿ يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ ﴾ [٤] ، فقيل : نأكل . وقيل: نَلْهُ. وقيل : نسعى وننبسط . وقيل : نكون في خصب وسعة .

وقال الهروي : المَرْتَع : الاتساع والخصب .

وهذه / المعاني كلها ممكنة في هذا الحديث. [٣٩]

---

(١) انظر : السيوطي ، الدر المنثور ٣/ ٥٤٤ ، وعزاه لعبد بن حميد ، مختصراً.

(٢) المحرَّر الوجيز ٧/ ١٥٤ – ١٥٥.

(٣) انظر : النهاية في غريب الحديث ٢/ ١٨٨.

(٤) سورة يوسف ، آية : ١٣.

وقوله : (أي فُلُ) : منادى مُرَخَّم ، أي : فلان ، وقيل : فُلُ ، لغةٌ : مثل: فلان [١].

وقوله : (**فإني أنساك كما نسيتني**) ، مثل قوله تعالى : ﴿ **نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ** ﴾ [٢] ، من مجانسة اللفظ ، والمجازاة على فعلهم ، أي: جازاهم على نسيانهم . والنسيان : هو امتناع من فعل ما نسي ، فهو من الله : يمنعهم الرحمة والخير الكثير[٣] .

وقوله في الثالث : المُدَّعي فعل الخير : " فيقول ها هنا " : اثبت مكانك .

وقوله بعد هذا : " إذن " ، كذا عند الأسدي ، وعند بعضهم عن ابن الحذَّاء : (أُذْن) . والأول أصح وأشبه بالمعنى ، أي إذا جئت بهذه الدعوى، فقف مكانك واثبت إِذَنْ ، حتَّى تَفْتَضِحَ في دعواك ، وسقطت هذه اللفظة جملةً عند الصدفي[٤] .

وقوله : " ويقال لأركانه انطقي ". قال الإمام _ ابن عطية _ : أي : نواحيه ، وركن الجبل وغيره ناحيته .

---

(١) سورة التوبة ، آية : ٦٧.

(٢) انظر : لسان العرب : ١١/ ٥٣٣.

(٣) فسر السلف النسيان من قبل الله تعالى بالترك . قال الإمام أحمد بن حنبل في قوله عزَّ وجلَّ : " فاليوم ننساكم " : فيقول : نترككم في النار : الرد على الجهمية ص ١٠٠ . وانظر أيضاً تفسير ابن جرير ٦/ ٤١١.

(٤) أبو علي الحسين بن محمَّد بن سكرة الصدفي الأندلسي ، خرَّج له القاضي عياض مشيخةً وأكثر عنه ، برع في الحديث متناً وإسناداً مع حسن الخط والضبط . ت ٥١٤ هـ.

ويوضع الركن أيضاً موضع العشيرة والقوة ، ومنه قوله تعالى : ﴿ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكۡنٖ شَدِيدٖ ﴾ [١] أي : إلى عز العشيرة/ . [٤٠]

قال القاضي : المراد هنا بالأركان : الجوارح .

وقوله : " عنْكُنَّ كُنت أُناضِل " أي : أدافع ، وأجادل ، يقال : فلان يُنَاضِل عن فلان ، إذا تكلَّم عنه بعذرٍ ودفع عنه .

وأصله من المناضلة ، وهو : الرمي بالسهم . انتهى من الإكمال [٢] .

[الدليل الرابع عشر] :

وقوله عزَّ وجلَّ : ﴿ لَخَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَكۡبَرُ مِنۡ خَلۡقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ [٣] .

قال الإمام الواحدي في تفسير القرآن : " نَبَّه تعالى على عظم قدرته بقوله: ﴿ لَخَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ مع عظمها ، وكثرة أجزائها ، ووقوفها من غير عمد ، وجريان الأفلاك بالكواكب من غير سبب ، أعظم في النَّفس ، وأهول في الصدور [٤] من خَلْقِ النَّاس، وإنْ كان عظيماً ، بالحواس المهيئات [٥] للإدراك .

---

(١) سورة هود ، آية : ٨٠.

(٢) انظر : إكمال أكمال المعلم للأبي ٧/ ٢٩٠.

(٣) سورة غافر ، آية : ٥٧.

(٤) في " الوسيط " : " الصدر ".

(٥) في " الوسيط " : " المهيأة " .

﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ : يعني : الكُفَّار حين لا يستدلون على توحيد خالقها "[١] .

ومن تفسير الإمام ابن عطية رحمه الله تعالى : ﴿ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ ﴾ الآية / : " الآية توبيخ لهؤلاء الكَفَرَةِ [٤١] المتكبرين[٢]، كأنَّه قال : مخلوقات الله أكبر وأجل قدراً من خلق البشر ، فما لأحد منهم يتكبر [٣] على خالقه _ سبحانه _ .

ويحتمل أنْ يكون الكلام في معنى البعث والإعادة ، فأعلم الله تعالى أنَّ الذي خلق السموات "والأرض"[٤] قويٌّ قادرٌ على خلق النَّاس تارةً أُخْرى". انتهى [٥] .

[الدليل الخامس عشر] :

قوله تعالى : ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴾ [٦] .

من تفسير الإمام ابن عطية : " فمعنى الكلام ؛ قال الطبري[٧] : هو تقرير للنَّبيّ عليه السلام على حسابه أنَّ أصحاب الكهف كانوا عجباً،

---

(١) الوسيط ٤/ ١٩ .

(٢) في الأصل : " المذكورين ".

(٣) في الأصل : " ينكر ".

(٤) من المحرَّر ، وليست في الأصل.

(٥) المحرَّر الوجيز : ١٤ / ١٤٩.

(٦) سورة الكهف ، آية : ٩.

(٧) إمام المفسرين ، أبو جعفر محمَّد بن جرير الطبري (٢٢٤ – ٣١٠ هـ) . كان أحد أئمة العلماء ،

بمعنى إنكار ذلك عليه ، أي لا تُعَظِّمْ ذلك بحسب ما عَظَّمَهُ عليك السائلونَ من الكفرة ، فإنَّ سائر آيات الله أعظَمُ من قِصَّتِهِم وأشنع [1] ، وهو قول ابن عبَّاس ، ومجاهد ، وقتادة ، وابن إسحاق [2] [3]" . [4]

[الدليل السادس عشر] :

وقوله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ ﴾ [5] . **[٤٢]**

من تفسير الإمام ابن عطية : (التقدير : واذكر إذ أخذ ، وقوله: ﴿ ظُهُورِهِمْ ﴾ قال النُّحاة : هو بدل اشْتِمَال من قوله : ﴿ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ ﴾ . وألفاظ هذه الآية تقتضي أنَّ الأخذ إنَّما كان من بني آدم من ظهورهم، وليس لآدم في الآية ذكر بحسب اللفظة . وتواترت الأحاديث في تفسير

يُحْكَم بقوله ، ويُرْجَع إلى رأيه ، لمعرفته وفضله ، وقد جمع من العلوم مالم يشاركه فيه أحد من أهل عصره ، وكان حافظاً لكتاب الله ، عالماً بالقراءات ، بصيراً بالمعاني، فقيهاً في أحكام القرآن ، عالماً بالسنن . الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ٢/ ١٦٢.

(١) انظر : المحرر ١٠/ ٣٦٧.

(٢) ابن إسحاق ، هو محمَّد بن إسحاق بن يسار ، أبوبكر ، المطلبي مولاهم ، إمام المغازي ، صدوق يدلّس ، ورُمِيَ بالتشيُّع والقدر . ت ١٥٠ هـ ، وقيل : بعدها . ابن حجر : تقريب ٢/ ١٤٤.

(٣) أخرجه عن هؤلاء ابن جرير في جامع البيان ٨/ ١٧٩ – ١٨٠ . الآثار أرقام ٣٢٨٨٦ – ٣٢٨٨٩.

(٤) المحرر الوجيز ١٠ / ٣٦٧.

(٥) سورة الأعراف ، آية : ١٧٢.

هذه الآية عن النَّبِيّ ﷺ من طريق عمر بن الخطَّاب [١] وعبد الله ابن عبَّاس [٢] .

وغيرهما : (أنَّ الله عزَّ وجلَّ لَمَّا خلق آدم ، وفي بعض الروايات : لَمَّا أهبطه إلى الأرض في دهناء من أرض الهند[٣] ، وقاله ابن عبَّاس[٤] ، وفي بعضها أنَّ ذلك " بِنَعْمَانَ " [٥] وهي عَرَفَةُ وما يليها ، قاله أيضاً

---

(١) حديث عمر رضي الله عنه ، مخرَّجٌ في :

ط : ص ٨٩٩ ، كتاب القدر ، باب النهي عن القول بالقدر ، ح ٢ .

د : كتاب السنة ، باب في القدر ٥/ ٧٩ ح ٤٧٠٣ .

ت : كتاب تفسير القرآن ، باب ومن سورة الأعراف ٥/ ٢٦٦ ح ٣٠٧٥ ، وقال الترمذي : هذا حديث حسن . ومسلم بن يسار لم يسمع من عمر ، وقد ذكر بعضهم في هذا الإسناد بين مسلم بن يسار وبين عمر رجلاً مجهولاً . وأخرجه ابن أبي عاصم في السنة ١/ ٨٧ رقم ١٩٦ .

وقال الشيخ الألباني : إسناده ضعيف لانقطاعه بين مسلم بن يسار وعمر ، وبينهما رجل يدعى نعيم بن ربيعة الأودي ، وهو مجهول . * ابن جرير : جامع البيان ٦/ ١١٢ ح ١٥٣٦٨ .

(٢) حديث ابن عباس رضي الله عنهما مُخَرَّجٌ في :

*حـم : ١/ ٢٧٢ .

* الحاكم : ٢/ ٥٤٤ كتاب التاريخ ، ذكر آدم عليه السلام ، وقال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرّجاه ، وقال الذهبي : صحيح .

* البيهقي : في الأسماء والصفات ١/ ٥١٨ رقم ٤٤١ باب إسماع الرب جلَّ ثناؤه كلامه من شاء من ملائكته ورسله وعباده . وقال محققه : " رجاله كلهم ثقات ، لكن الصواب وقفه " .

وقال الشيخ الألباني عقب نقله كلام ابن كثير في وقفه : " قلت هو كما قال رحمه الله تعالى ، ولكن ذلك لا يعني أنَّ الحديث لا يصح مرفوعاً وذلك لأنَّ الموقوف في حكم المرفوع لسببين :

الأوَّل : إنَّه في تفسير القرآن ، وما كان كذلك فهو في حكم المرفوع ...

والآخر : أنَّ له شواهد مرفوعة عن النبي ﷺ عن جمعٍ من الصحابة . (الصحيحة ٤/ ١٥٩ ح١٦٢٣) .

(٣) في المحرَّر : " السند " ، وهو تحريف.

(٤) أخرجه عنه ابن جرير : جامع البيان ٦/ ١١٠ ح ١٥٣٥٣.

(٥) نَعْمَانُ : بالفتح ثُمَّ السكون وآخره نون ، هو فعلان من نعمة العيش ، وهو غضارته وحسنه، وهو

ابن عبَّاس [١] وغيره ، مسح على ظهره ، وفي بعض الروايات : بيمينه [٢]، وفي بعض الروايات : ضرب منكَبه [٣] ، فاستخرج منها أي من المسحة ، أو من[٤] الضربة ، نسم بنيه ، ففي بعض الروايات : كالذَّر ، وفي بعضها : كالخردل) [٥] .

وقال محمد بن كعب : إنَّها الأرواح جُعِلَت لها مِثالات[٦] .

وروى عبد الله بن عمر عن النَّبِيّ ﷺ أنَّه / قال : " أُخِذُوا من ظهره كما يؤخذ بالمشط من الرأس " [٧]، وجعل الله تعالى لهم عقولاً كنملة سليمان، وأخذ عليهم العهد بأنَّه ربهم وأنْ لا إله غيره. فأقرُّوا بذلك والتزموه، وأعلمهم أنَّه سيبعث الرُّسل إليهم مذكِّرة وداعيةً، فشهد بعضهم على بعض . [٤٣]

وهو نعمان الأراك ، وهو وادٍ يُنْبِتُه ويصب إلى ودّان ، بلد غزاه النَّبِيُّ ﷺ . وهو بين مكّة والطَّائف ، وقيل : وادٍ لهذيل على ليلتين من عرفات ... (الحموي : معجم البلدان ٥/ ٢٩٣ ، دار صادر).

(١) تقدَّم تخريج رواية ابن عبَّاس . انظر ص (١١٧) .

(٢) ورد ذكر المسح على ظهر آدم بيمينه في حديث عمر ، وتقدَّم تخريجه في ص ١١٦ .

(٣) انظر : ابن جرير ، جامع البيان ٦/ ١١٣ رقم ١٥٣٧٣.

(٤) ابن منده : الردّ على الجهمية ص ٦٣ ، بتحقيق د. علي بن محمَّد ناصر فقيهي .
وانظر : الدر المنثور ٣/ ٦٠٥ – ٦٠٦.

(٥) " من " : من " المحرَّر " .

(٦) * ابن جرير : جامع البيان ٦/ ١١٦ رقم ١٥٣٨٧
* السيوطي : الدر المنثور ٣/ ٥٩٩ ، وعزاه لابن أبي شيبة .

(٧) * ابن جرير : المصدر السابق ٦/ ١١٢ رقم ١٥٣٦٥ .
* السيوطي : الدر ٣/ ٦٠١ وعزاه لابن جرير ، وابن منده في الرد على الجهمية .
* ابن منده : الرد على الجهمية ص ٦٣ بتحقيق د. علي بن محمَّد ناصر فقيهي.

قال أُبَيّ بن كعب : " وأشهد عليهم السماوات السبع فليس من أحدٍ يولد إلى يوم القيامة ، إلاَّ وقد أُخِذَ عليه العهدُ في ذَلِكَ اليومِ والمقامِ " [(١)]. قال السُّدّي: " أعطى الكفار العهدَ يومئذٍ كارهين على جهة التقية " [(٢)].

قال أبو محمَّد : هذه نَخِيلَةُ مجموع الروايات المطولة ، وكأنَّ ألفاظ هذه الأحاديث لا تَلْتَئِم مع ألفاظ الآية .

وقد أكثر النَّاس في رَوْمِ الجمع بينهما ، فقال قوم : إنَّ الآية مُشِيرةٌ إلى هذا التناسل الذي في الدنيا ، وأخذ [بمعنى أوجد] [(٣)] على المعهود ، وأنَّ الإشهاد هو " عند " [(٤)] بلوغ المكلّف ، وهو قد أُعْطِيَ الفهم ، ونصبت له هذه الصنعةُ الدَّالّةُ على الصانع .

ونحا إلى هذا المعنى الزجَّاج[(٥)]، وهو معنى تحتمله الألفاظ ، لكن يَرُدُّ عليه تفسير عمر بن الخطَّاب / رضي الله عنه ، وابن عباس ، الآية بالحديث المذكور ، **[٤٤]** "وروايتهما " [(٦)] ذلك عن النَّبِيّ ﷺ ، واليمين عبارة عن القُدْرة [(٧)] .

---

(١) * ابن جرير : جامع البيان ٦/ ١١٤ رقم ١٥٣٧٤ .
* السيوطي : الدر ٣/ ٦٠٠ ..
(٢) * أخرجه ابن جرير : جامع البيان ٦/ ١١٥ رقم ١٥٣٨٣.
(٣) من " المحرَّر ".
(٤) " عند " ساقطة من الأصل ، والتصويب من " المحرَّر ".
(٥) انظر : معاني القرآن له ٢/ ٣٩٠.
(٦) من " المحرَّر ".
(٧) هذا من صاحب المحرر ، والمؤلف جرياً على منهج أهل الكلام في تأويل اليد ، بالقدرة ، وهو تأويلٌ فاسدٌ، لأنه صرف للفظ على ظاهره بدون دليل . ومذهب أهل السُّنَّة والجماعة إثبات ما أثبته

ورُوِيَ في قَصَصِ هذه الآية : أنَّ الأنبياء عليهم السلام كانوا بين تلك النّسم أمثال السُّرُج، وأنَّ آدم عليه السلام رأى داود عليه السلام ، فأعجبه، فقال: مَنْ هذا ؟ فقيل له : نبي من ذُرّيّتك ، فقال : كَمْ عمره ؟ فقيل : ستون سنة . فقال : أزيده من عمري أربعين سنة ، فزيدت له .

قيل : وكان عُمْرُ آدم عليه السلام ألف سنة ، فلمَّا أكمل تسعمائة سنة وستين ، جاءه مَلَك الموت ، فقال آدم عليه السلام : بقي لي أربعون سنةً ، فرجع مَلَك الموت إلى ربه ، فأخبره ، فقال له : قُل له : إنَّك أعطيتها لابنك داود ، فتوفي بعد أن خاصم في الأربعين[١].

قال الضَّحَّاك بن مزاحم : " مَنْ مات صغيراً فهو على العهد الأوَّل، ومن بلغ، فقد أخذه العهد الثاني" [٢]، يريد الذي في هذه الحياة المعقولة الآن.

وقوله : ﴿ شَهِدْنَا ﴾ يحتمل أن يكون من قول بعض النّسَمِ لبعضٍ، أي شهدنا عليكم لئلاَّ / تقولوا يوم القيامة غفلنا عن معرفة الله والإيمان به، [٤٥] فتكون مقالة من هؤلاء لهؤلاء ، ذكره الطبري[٣]، وعلى هذا [لا][٤] يحسن الوقوف على قوله : ﴿ بَلَىٰ ﴾ .

الله لنفسه ، أو أثبته له رسوله صلَّى الله عليه وسلَّم على الوجه اللائق بذاته عزّ وجلَّ من غير تحريف ولا تعطيل ، ولا تمثيل ، ولا تكييف.

(١) انظر : ابن جرير : جامع البيان ٦/ ١١٤- ١١٥ رقم ١٥٣٧٥ - ١٥٣٧٦ .
والسيوطي : الدر المنثور ٣/ ٦٠٣ .

(٢) * ابن جرير : جامع البيان ٦/ ١١١ رقم ١٥٣٦٣ ، بلفظٍ أتَمّ منه .
* السيوطي : الدر ٣/ ٦٠٢ .

(٣) انظر : جامع البيان ٦/ ١١٧.

(٤) " لا " : ساقطة من الأصل ، والتصويب من " المحرَّر ".

ويحتمل أن يكون قوله ﴿ شَهِدْنَآ ﴾ من قول الملائكة ، فيحسُنَ الوقوف على قوله : ﴿ بَلَىٰ ﴾ .

قال السُّدّي : " [المعنى] [١]: قال الله وملائكته شهدنا " [٢]. ورواه عبدالله بن عمرو عن النَّبِيّ ﷺ [٣] .

قال القاضي أبو محمَّد : المعنى في هذه الآية أنَّ الكَفَرَةَ لَوْ لم يؤخذ عليهم عهد ، ولا جاءهم رسولٌ مُذَكِّرٌ بما تَضَمَّنَه العهدُ بتوحيدِ الله وبعبادته ، لكانت لهم حُجَّتَان :

إحداهما : كُنَّا غافلين .

والأخرى : كُنَّا تبعاً لأسلافنا ، فكيف نَهْلِكُ والذنب إنَّما هو لِمَنْ طَرَّقَ لنا وأَضَلَّنا ، فوقعت [٤] شهادةُ بعضهم على بعض ، أو شهادة الملائكة [٥] عليهم لتنقطع هذه الحجج . انتهى [٦] .

ومن تفسير الإمام الواحدي رحمه الله : قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ﴾ أي : من ظهور بني آدم .

---

(١) من المحرَّر.

(٢) ابن جرير : جامع البيان ٦/ ١١٧ ، وانظر رقم ١٥٣٨٤.

(٣) أخرجه ابن جرير : جامع البيان ٦/ ١١٢ رقم ١٥٣٦٥ . وقال في ص ١١٧ : " ولا أعلمه صحيحا " .

وفي الأصل والمحرر " عبد الله بن عمر " ، والتصويب من ابن جرير.

(٤) في الأصل : " فهو نعت " ، والتصويب من " المحرّر " .

(٥) في الأصل مكرَّرة.

(٦) المحرَّر الوجيز ٧/ ١٩٨ – ٢٠٣.

وقال الكتاني: إنَّما / هو ظهرُ آدمَ، وإنَّما خرجوا جميعاً من ظهـره ، لأنَّ الله [٤٦] تعالى أخرج ذرية آدم عليه السلام بعضهم من بعض على نحـو مـا يتولَّـد[١] الأبنـاء من الآباء، فاستغنى عن ذكر[٢] ظهر آدم[٣] لَّما علم أنَّهم كلهـم بنـوه ، وأُخْرِجُوا من ظهره .

قال ابن عباس في رواية [سعيد بن][٤] جبير : " لَّمَا خلـق الله تعـالى آدم ، مسح ظهره ، وأخرج من ظهره كل نسمة هو خالقها إلى يوم القيامة ، فقال: ألست بربكم ؟ قالوا : بلى . فَنُودِيَ يومئذٍ : أنَّ القلم جَفَّ بـما هـو كـائن إلى يوم القيامة " [٥] .

وقال مقاتل: " إنَّ الله تعالى مسح صفحة ظهـره اليمنـى ، فـأخرج منـه ذريـةً كهيئة الذَرّ ، يتحرَّكون ، ثُمَّ مسـح صـفحة ظهـره اليسرـى ، فـأخرج منـه ذُرّيـةً سوداء كهيئة الذَّر، فقال: يا آدم هذه ذُرّيَّتك، ثُمَّ قال لهم : ألست بربكم ؟ قـالوا : بلى. فقال للبِيض : هؤلاء في الجنَّة برحمتي، وهم أصحاب اليمـين، وإلى السـود: هؤلاء في النَّار ولا أُبالي، وهم أصحاب الشمال، ثُمَّ أعادهم جميعاً في صُلْبِهِ .

---

(١) في " الوسيط " : " يتوالد ".

(٢) في الأصل : " فليستغني " ، وما أثبت من " الوسيط ".

(٣) في " الوسيط " ، وساقطة من الأصل.

(٤) من " الوسيط " ، وساقطة من الأصل.

(٥) * أخرجه ابن جرير ، جامع البيان ٦/ ١١١ رقم ١٥٣٥٨ .

* أورده السيوطي في " الدر " ٣/ ٥٩٨ ، وعزاه لابن المنذر .

فأهل القبور محبوسون حتى يخرج أهل الميثاق/ كُلُّهم من أصلاب [٤٧] الرجال وأرحام النساء "[١].

قال الله تعالى فيمن نقض العهد الأوَّل : ﴿ **وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ** ﴾[٢]، وهذا قول جماعة من المفسرين[٣].

وقال الله ﷻ : ﴿ **فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ** ﴾[٤] فَمستَقَرّ في أرحام النساء، ومستودع في أصلاب الرجال[٥]. فسبحان العليم بكل شيء، والقادر على كل شيء.

وقالت طائفةٌ منهم : إنَّ أهل السعادة من الذُّرِّيَّة أقرُّوا طوعاً ، وإنَّ أهل الشقاء أقرُّوا تُقْيَةً وكَرْهاً[٦]. وذلك معنى قوله تعالى : ﴿ **وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ** ﴾[٧].

---

(١) انظر : البغوي ، معالم التنزيل ٢/ ٢١٢.

(٢) سورة الأعراف ، آية : ١٠٢.

(٣) قال ابن منده : " اختلفوا في معنى الإجابة لما أخذ عليهم الميثاق ، فقال عامَّتهم : أجابوا كلُّهم طائعين غير مكرهين " . ثُمَّ ذكر أنه رُوِيَ عن أبي العالية وغيره من التابعين . (الرد على الجهمية ص٦٦).

(٤) سورة الأنعام ، آية : ٩٨ .

(٥) هذا أحد المعاني التي ذُكِرَت في الآية ، وهو مروي عن ابن عبَّاس ، عند ابن جرير : جامع البيان ٥/ ٢٨٣ رقم ١٣٦٣١ – ١٣٦٣٢ ، ١٣٦٣٨ . ورُوِيَ كذلك عن مجاهد . انظر : تفسير مجاهد ١/ ٢٢٠ .

وانظر المعاني الأخرى للآية في : جامع البيان ٥/ ٢٨١ وما بعدها.

(٦) نقل ذلك عن السُّدّي ، أخرجه ابن جرير : جامع البيان ٦/ ١١٥ رقم ١٥٣٨٣ .

وانظر : ابن الجوزي : زاد المسير ٣/ ١٩٣ ، وانظر أيضاً : البغوي ، معالم التنزيل ٢/ ٢١٢.

(٧) سورة آل عمران ، آية : ٨٣.

وقال الزَّجَّاج : " جائز أن يكون الله تعالى جعل لأمثال الذَرّ فَهْـماً تعقـل به ، كما قال : ﴿ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَـٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَـٰنُ وَجُنُودُهُۥ ﴾ [١] .

- وفَهَّمَ اللهُ تعالى لسليمان كلامَ النملة ، قال عزَّ وجـلَّ : ﴿ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا ﴾[٢] - وكما قـال عـزَّ وجـلَّ : ﴿ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَـٰلِحًا ﴾ [٣] " [٤] .

وقوله : ﴿ شَهِدْنَآ ﴾/ قال الكلبي : لَمَّا قالت الذُريّة : بـلى ، قـال الله عـزَّ وجلَّ للملائكة : اشهدوا ، فقالوا : شهدنا [٥] . [٤٨]

وقال السُّدّي : " قد أخبر الله تعالى عن نفسه وملائكته أنَّهم شـهدوا عـلى إقرار بني آدم" [٦]، ويحسُن الوقوف على قوله : ﴿ بَلَىٰ ﴾

وقوله : ﴿ أَن تَقُولُوا۟ ﴾ معناه : لئلاَّ تقولوا ، كما قال تعالى : ﴿ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ ﴾ [٧] ويجوز أن يكون التقـدير : شـهدنا كراهيةَ أنْ تقولوا .

---

(١) سورة النّمل ، آية : ١٨.
(٢) سورة النّمل ، آية : ١٩.
(٣) سورة الأنبياء ، آية : ٧٩.
(٤) معاني القرآن للزَّجَّاج ٢/ ٣٩٠.
(٥) انظر : البغوي ، معالم التنزيل ٢/ ٢١٢.
(٦) انظر : جامع البيان ٦/ ١١٧.
(٧) سورة النحل ، آية : ١٥.

قال المفسرون : " وهذه الآية تذكير بما أُخِذَ على جميع المكلَّفين من الميثاق، واحتجاجٌ عليهم لئلاَّ يقول الكافر : إنَّا كُنَّا عن هذا الميثاق غافلين ، لم نذكره، ولم نحفظه .

ونسيانهم لا يسقط الاحتجاج بعد أنْ أخبر الله تعالى بذلك على لسان صاحب المعجزة ، وإذا صحَّ ذلك بقول الصادق قام في النفوس مقام الذكر . فالاحتجاج به قائم "[١].

ثُمَّ قطع تعالى عذر الكفار بقوله : ﴿ **أَوْ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ** ﴾[٢] لا يستطيع أحد من الذريّة الكافرة أن يقول يوم القيامة: إنَّما أشرك / آباؤنا من قبل ونقضوا العهد، ﴿ **وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ** ﴾ ، [٤٩] فاقتدينا بهم ﴿ **أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ** ﴾[٣] : أفتعذبنا بما فعل المشركون المشركون المكذبون بالتوحيد .

فلا يمكنهم أن يحتجوا بمثل هذا الكلام بعد تذكير الله وأخذه الميثاق بالتوحيد على كل واحدٍ من الذريّة . انتهى من تفسير الإمام الواحدي رحمه الله تعالى[٤] .

والعجب كل العجب مِمَّن يسمع هذه الإحاطة العظيمة بهم، والقدرة الكاملة عليهم قبل إيجادهم ، وقبل إخراجهم إلى دار التكليف الذي

---

(١) انظر : ابن الجوزي ، زاد المسير ٣/ ١٩٣ . وانظر : ابن جرير ، جامع البيان ٦/ ١١٧ .

(٢) سورة الأعراف ، آية : ١٧٣ .

(٣) سورة الأعراف ، آية : ١٧٣ .

(٤) الوسيط في تفسير القرآن المجيد ٢/ ٤٢٥ – ٤٢٦ .

أحسن كل شيءٍ خلقه ، والذي لا يغـادر صـغيرة ولا كبـيرة إلاَّ أحصـاها ، الأبديُّ الواحدُ الأحد ، الفردُ الصمدُ، الذي لم يلد ولم يولد ولكـم يكـن لـه كفؤاً أحد . كيف ينتقصُ قدرةَ الله سبحانه عـلى إعـادة أجسـامهم بأعيانهـا، وتـأليف أجـزائهم، وإعادتهـا كـما كانـت أوَّل مـرّة بعـد فَنائهـا، وتمزيـق أجزائها، فهو القادر سبحانه، لا يعجزه مقدور، والكـل في علمـه سـبحانه، قال الله العظيم : ﴿ **قل لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِكَلِمَاتِ رَبِّي / لَنَفِدَ الْبَحْـرُ** [٥٠] **قَبْلَ أَنْ تَنْفَد كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِـهِ مَـدَداً** ﴾ [(١)]، وكلمـات الله سبحانـه هـي معلوماتُه[(٢)] .

قـال الله العظـيم : ﴿ **كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ** ﴾ [(٣)] والشـأن بيديـه لا يبتديـه[(٤)]، وقيل : الشأن يُبْدي من عجـائب قدرته ما كـان كائنـاً في علمـه ، فيخرجـه من العدم إلى الوجود فرداً فرداً ، معينـاً لمـا سـبق في علمـه مـن شـقاوةٍ ، أو سعـادةٍ ، وكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِق له ، هؤلاء إلى الجنَّة ولا أُبالي ، وهؤلاء إلى النَّار ولا أُبالي .

---

(١) سورة الكهف ، آية : ١٠٩ .

(٢) يظهر لي أن المؤلّف نقل هذا التأويل عن تفسير ابن عطية " المحرَّر الوجيز " ١٠/ ٤٥٨ .

وهو خلاف مذهب السلف ، فكلام الله عندهم غير معلوماته ، وهو صفة ذاتية فعلية للحق تبارك وتعالى ، فهو يتكلّم متى شاء ، وكيف شاء ، على الوجه اللائق بذاته سبحانه .

(٣) سورة الرحمن ، آية : ٢٩.

(٤) انظر : ابن الجزري : التسهيل ص ٦٧٤.

وفي الحديث : ((**سُئِلَ رسول الله : متى الساعة ؟ فقال : إذا كَمُلَتِ العِدَّتَان، عِدَّة للجنَّة ، وعِدَّة للنار**))[١] .

قال الله العظيم : ﴿ **أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ أَلَآ إِنَّهُمْ فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْ ۗ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌۢ** ﴾[٢] انتهى.

أوحى الله تعالى إلى داود : يا داود كيف عرفتني ؟ قال : يا ربّ عرفتك بالقدرة ، والقوة ، والبقاء ، وعرفتُ نفسي بالضعف ، والعجز ، والفناء . فقال : الآن عرفتني يا داود .

[الدليل السابع عشر] :

وقوله عزَّ وجلَّ : ﴿ **وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ** ﴾[٣] . **[٥١]**

من تفسير الإمام ابن عطية رحمه الله تعالى : (رُوِيَ أنَّ أيُّوب عليه السلام لم يزل صابراً لا يدعو في كشف ما به ، وكان فيها رُوِيَ تقع [منه][٤] الدُّود فيردها بيده ، حتَّى مرَّ به قوم كانوا يعادونه فشمتوا به، فتألَّم لذلك ودعا حينئذٍ ، فاسْتُجِيبَ له ، وكانت امرأته غائبة في بعض شأنها ، فأنْبَعَ الله تعالى له عَيْناً ، وأُمِرَ بالشُّرْب منها ، فبرئ باطنه ، وأُمِرَ بالاغتسال فبرئ

---

(١) وأورده القرطبي من كلام الحسين بن الفضل . أحكام القرآن ١٧/ ١٠٩ .
لم أقف على تخريجه مع إدمان البحث عنه.
(٢) سورة فُصِّلت ، آية : ٥٣ – ٥٤.
(٣) سورة الأنبياء ، آية : ٨٣ – ٨٤.
(٤) " منه " : ساقطة من الأصل ، أثبتها من " المحرَّر ".

ظاهره ، ورُدَّ إلى أفضل جماله ، وأُتِيَ بأحسنِ الثياب، وهَبَّ عليه رِجْلُ[١] جَرَادٍ مِنْ ذَهَبٍ ، فجعل يحثي منها في ثوبه ، فناداه الله تعالى : يا أيُّوب ألَمْ أكُن أغنيتك عن هذا ؟ قال: بلى يا ربّ ، ولكن لا غنِىً لي عن بركتك ، فبينما هو كذلك إذ جاءت امرأته فلم تره على الساطت[٢]، فجزعت[٣] وظنَّت أنَّه أُزيل عنها، وجعلت تتولَّه ، فقال لها : ما شأنك أيَّتُهَا المرأة ؟ فهابته لِحُسْنِ / هيئته وقالت : إني فقدت مريضاً كان لي في هذا الموضع ، ومعالم [٥٢] المكان قد تغيَّرت، وتأمَّلت[٤] في أثناء المقاولة فرأت أيُّوبَ ، فقالت له: أنت أيُّوب ؟ فقال لها : نعم ، واعتنقها وبكى، فَرُوِيَ أنَّه لَمْ يُفارقها حتَّى أراه الله تعالى جميع ماله حاضراً بين يديه.

واختلف النَّاس في أهله وولده الذين آتاه الله ؟ فقيل : كان ذلك كله في الدنيا ، فرَّد الله تعالى عليه ولده بأعيانهم ، وجعل مثلهم له عِدةً في الآخرة . وقيل : بل أُوتيَ جميع ذلك في الدُّنيا من أهلٍ ومال[٥] .

---

(١) الرّجْلُ – بالكسر _ : الجراد الكثير . ابن الأثير : النهاية ٢/ ٢٠٣.

(٢) في " المحرَّر ": " السباطة ". وهي : الموضع الذي تطرح فيه الأوساخ ، انظر : لسان العرب ٧/ ٣٩، كان قوم أيوب عليه السلام لما مرض أخرجوه من بينهم إليها ، ولم يبق معه غير زوجته ، انظر : المحرَّر ١١/ ١٥٦.

(٣) في الأصل : " فخرجت " ، وما أثبته من " المحرَّر ".

(٤) في " المحرَّر " : " فتأمَّلته ".

(٥) انظر : ابن جرير ، جامع البيان ٩/ ٦٩ – ٧٠

وقوله تعالى : { وَذِكْرَى لِلْعَابِدِين } أي : تذكرة وموعظة [للمـؤمنين][١]، ولا يعبد الله تعالى إلاَّ مؤمن ، والذكرى إنَّما هي في محنتـه ، والرحمـة في زوال ذلك عنه [٢] .

ومن تفسير الإمام الواحـدي رحمـه الله تعـالى في هـذه الآيـة : قولـه عـزَّ وجلَّ: ﴿ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ ﴾ : إنَّ الله عزَّ وجـلَّ أحيـا مَنْ مات لـه مِـنْ بَنِيـه وبناتـه ، وَرَزَقَـه مـن الولـد مـثلَهم : ﴿ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴾ / موعظة لهم ليعلموا بذلك كمال قدرتنا[٣] . [٥٣]

[الدليل الثامن عشر] :

وفي قِصَّة إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ .

وقدرته؛ كيف نَّجاه الله تعالى من النَّار، وكانت عليه برداً وسلاماً[٤].

ومن تفسير الإمام ابن عطية رحمه الله تعالى: (رُوِي أنَّه لَّما اجتمـع رأيُهُـم على تحريقه، حَبَسَه نمرود الملك[٥]، وأمـر بجمـع الحطـب، فجمـع في مـدَّة أشهُر.

---

(١) من " المحرَّر ".

(٢) المحرَّر الوجيز ١١/ ١٥٧.

(٣) الوسيط ٣/ ٢٤٧.

(٤) يشير إلى قوله عزَّ وجلَّ : { قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ } [سورة الأنبياء ، آية : ٦٨ – ٦٩].

(٥)" نمروذ " : بالذال المعجمة ، وبالـدال المهملـة ، محلّى بـالألف والـلام ، وغـير مُحَلّى (نمـرود، والنمرود) هو : نمروذ بن كنعان بن كوش بن سام بن نوح .

روي ذلك عن مجاهد، رواه ابن جرير، في جامع البيان ٣/ ٢٥ رقم ٥٨٦٢ – ٥٨٦٥ .

وكان المريض يجعل نذراً إن هو برئ أن يجمع كذا وكذا حزمة حطب، حتَّى اجتمع من الحطب مِمَّا تبَرَّع بـه النَّـاس ، ومِمَّـا جَلَـب الملـكُ مـن أهـل الرساتين كالجبل من الحطب .

ثُمَّ أضرَم ناراً ، فلمَّا أرادوا طرح إبراهيم بها ، لم يقدروا على القرب منها، فجاءهم إبليس في صورة شيخ ، فقال لهم : أنا أصنع لكـم آلـة يلقـى بهـا في النَّار، فعلَّمَهُم صنعة المنجنيق .

ثُمَّ أُخرج إبراهيم عليه السلام ، فَشُدَّ رباطاً ، وَوُضِـعَ في كفَّـة المنجنيـق ورُمِيَ به ، فوقع في النَّار ، وقد قيل : كـوني بَـرْدَاً وسـلاماً ، فـاحترق الحبـل الذي رُبِطَ به فقط [١] .

[٥٤] ورُوِيَ أنَّ جبريـل عليـه السـلام جـاءه وهـو في الهـواء / فقـال : ألـك حاجة؟ فيُرْوَى أنَّه قال : أمَّا إليك فلا [٢] .

قال ابن جرير : وقيل : إنَّه " نمروذ بن فالح بن عابر بن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح " .

وروى ابن جرير عن قتادة : أنّه أوَّل ملك تجبَّر في الأرض ، وهو صاحب الصرح ببابل .

المصدر السابق رقم ٥٨٦٦ ، وكما رواه عن الربيع برقم ٥٨٦٨ .

وانظر في تحقيق اسمه وضبطه : د . ف . عبد الرحيم ، الإعلام بأصول الأعلام ص ١٧٩، نشر دار القلم .

(١) روي اقتصار الإحراق على الوثاق من كلام كعب .

أخرجه ابن جرير : جامع البيان ٩/ ٤٣ – ٤٤ رقم ٢٤٦٥٦ – ٢٤٦٦٢ .

والسيوطي : الدر ٥/ ٦٣٩ وعزاه لابن أبي شيبة، وابن جريـر، وابـن المنـذر . وص ٦٤٠ ، وعـزاه لعبدالرَّزَّاق، وعبد بن حميد ، وابن جرير.

(٢) أخرجه ابن جرير ، عن معتمر بن سـليمان ، عـن بعـض أصـحابه . جـامع البيـان ٥/ ٤٤ رقـم ٢٤٦٦٣ .

وذكره السيوطي في الدر ٥/ ٦٤١ وعزاه لابن جرير.

ويُرْوَى أنَّه قال: إني خليلٌ ، وإنَّما أطلب حاجتي من خليلي لا مِنْ رسوله، فقال الله تعالى: يا إبراهيم قَطَعْتَ الواسطة بيني وبينك، لأقطعنَّها بينك[١] وبين النَّار ، ﴿ قُلْنَا يَـٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَـٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾[٢] الآية .

وروُي : أنَّه حين خوطبت النَّارُ خمدت كل نار في الأرض" [٣] ، وجعل الله تبارك وتعالى عليه النَّار برداً وسلاماً ، فخرج منها سالماً ، وكانت أعظم آية .

ورُوِيَ " أنَّهم قالوا : إنَّها نار مسحورة لا تحرق ، فرموا فيها شيخاً منهم فاحترق" [٤] .

ورُوِيَ : أنَّ إبراهيم كان له بسطٌ ، وطعامٌ في تلك النار ، كُلّ ذلك من الجنَّة [٥] .

ورُوِيَ : أنَّ العيدان أينعت ، وأثمرت له هنالك ثمارها التي[٦] كانت أصولها .

---

(١) في " المحرَّر " : " بيني وبين النَّار ".

(٢) سورة الأنبياء ، آية : ٦٩.

(٣) * انظر : ابن جرير ، جامع البيان ٩/ ٤٣ رقم ٢٤٦٦٠ .

* أورده السيوطي في الدر ٥/ ٦٤٠ عن ابن عباس، وعزاه للفريابي، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن أبي حاتم.

(٤) انظر : جامع البيان ٩/ ٤٤ رقم ٢٤٦٦٨ ، فقد أخرجه عن ابن جريج .

* والسيوطي : الدر المنثور ٥/ ٦٤١ ، عن ابن جريج ، وعزاه لابن المنذر . وعزاه في ص ٦٤٢ لابن جرير .

(٥) انظر : البغوي ، معالم التنزيل ٣/ ٢٥١ . وابن الجوزي : زاد المسير ٥/ ٢٥٤ .

(٦) انظر : المصدرين السابقين ، بمعناه.

وقوله تعالى : ﴿ وَسَلاَماً ﴾ معناه : وسلامة [١] .

وقال بعضهم : هي تحية من الله تعالى لإبراهيم .

ورُوِيَ أنَّ الملِكَ بنى بناءً ، واطَّلع منه على النَّار ، فرأى إبراهيم عليه السلام [ومع ناس][٢] ، فعجب وسأل : هل طُرِحَ معه أحد ؟ فقيل: لا. فناداه . فقال : مَنْ أولئك ؟ قال : هم ملائكة / ربي [٣] . [٥٥]

ورُوِيَ : أنَّ إبراهيم عليه السلام لـمَّا خرج من النَّار ، أخرجه النمرود وكلَّمه ، ثُمَّ ختم الله عليه بالكفر فلج ، وقال لإبراهيم عليه السلام، في بعض قوله : أين جنود ربك الذي أنت تزعم ؟ فقال له : سيريك فعلَ أصغر[٤] جنوده . فبعث الله تعالى على نمرود وأصحابه سحابة مِنْ بَعوض ، فأكلتهم عن آخرهم ودوابهم ، حتى كانت العظام تلوح بيضاً ، ودخلت منها بعوضة في رأس نمرود ، فكان رأسه يُضرب بالعيدان وغيرها، فدام يُعَذَّبُ بها زمناً طويلاً ، وهلك منها [٥] " [٦].

[الدليل التاسع عشر] :

وقوله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ﴾ [٧] الآية .

---

(١) انظر : ابن جرير ، جامع البيان ٩/ ٤٣ رقم ٢٤٦٥٨ ، وص ٤٤ رقم ٢٤٦٦٥ ، ٢٤٦٦٦.

(٢) من " المحرر ".

(٣) انظر معناه في : معالم التنزيل ٣/ ٢٥١ ، وزاد المسير ٥/ ٢٥٤.

(٤) في المحرَّر : " أضعف ".

(٥) انظر : البغوي ، معالم التنزيل ٣/ ٢٥١ . وابن الجوزي : زاد المسير ٥/ ٢٥٤ .

(٦) المحرَّر الوجيز ١١/ ١٤٦ – ١٤٧.

(٧) سورة الحج ، آية : ٥

من تفسير الإمام الواحدي رحمه الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ يعني : كفار قريش . ﴿ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ ﴾ أي : في شكٍ من الإعـادة.

﴿ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ﴾ : خلقنا أباكم الـذي هـو أصـل البشر مـن تراب ، ثُمَّ خلقنا ذريته ﴿ مِنْ نُطْفَةٍ ﴾ يعني المنيّ ، ﴿ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ﴾ وهو الدم الجامد ، ﴿ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ ﴾ وهي لحمة قليلة قـدر مـا / يُمْضَـغُ ، ﴿مُخَلَّقَـةٍ ﴾ [٥٦] مصوَّرة تامة الخلق ، ﴿ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ ﴾ وهي ما تَمُجُّهُ دماً ، يعني : السقط .

﴿ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ ﴾ كمال قدرتنا ، ليبصر[1] بها أطوار خلقكم . ﴿ وَنُقِرُّ فِـي الأَرْحَامِ ﴾ نترك فيها ما لا يكـون سـقطاً ﴿ إِلى أَجَـلٍ مسَـمًّى ﴾ : إلى وقـت خروجه. ﴿ ثُمَّ نُخْرِجُكُـمْ ﴾ مِنْ بُطُـونِ أُمَّهَاتكم ﴿ طِفْلاً﴾ صغاراً .

﴿ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُم ﴾ : عقولكم [2] ونهاية قوتكم .

﴿ وَمِنْكُمْ مَّنْ يُتَوَفَّى ﴾: يموت قبل بلوغ الأشُدّ.

﴿ وَمِنْكُمْ مِنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ﴾ : وهو الهَرَمُ و الخَرَفُ حتى لا يعقـل، وهو قوله [حتَّى لا يعلم] [3] ﴿مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئا ﴾ .

[الدليل العشرون] :

ثُمَّ ذكر دِلاَلَةً أخرى على البعـث فقـال : ﴿ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً ﴾ : جافَّة ذات ترابٍ ، ﴿ فَإِذَا أَنْزَلْنَـا عَلَيْهَا المَـاءَ ﴾ : المطر ﴿اهْتَـزَّت﴾: تحرَّكـت بالنبات ، ﴿ وَرَبَت ﴾ : زادت ، ﴿ وَأَنْبَتَتْ مِـنْ كُـلِّ زَوْجٍ بَهِـيجٍ﴾: مـن كـل صنف حَسَنٍ مـن النبـات ، ﴿ ذَلِـكَ ﴾ : الـذي تقـدَّم ذكـره مـن اختـلاف

---

(١) في النسخة الخطية للوسيط : " في تصريفنا أطوار ... " ٥٨/ ب رقم ٤٤١١.

(٢) في النسخة الخطية (كمال عقولكم) ٥٨/ ب.

(٣) ساقطة من الأصل.

الإنسـان وإحيـاء الأرض ، ﴿ بَأَنَّ اللهَ هُـوَ الحَقُّ ﴾ : الدائم الثابت الموجود .
﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ : يريد أبا جميل(١) (٢) .

ومن تفسير الإمام ابن عطية : قوله تعالى : ﴿ وَمِنْ النَّاسِ مَـنْ يُجَـادِلُ فِي اللهِ بِغَيْرِ / [عِلْمٍ ﴾ (٣) قال ابن جريج : نزلت في النضر بن الحارث(٤)، وأُبيّ **[٥٨]** ابن خلف ، وقيل : في أبي جهل بن هشام (٥) ، ثُمَّ هي بعد تتنـاول كـل مـن اتَّصف بهذه الصفة .

والمجادلة : المحاجّة ... مأخوذة من الجدل ، وهو : الفتل .

والمعنى : في قدرة الله تعالى وصفاته ، وكـان سـبب الآيـة كـلام مـن ذكـر وغيرهم ، في أنَّ الله تعالى لا يبعث الموتى ، ولا يقيم الأجساد من القبور .

وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ ﴾ (٦)الآية .

---

(١) في الوسيط : " نزلت في النضر بن الحارث ".

(٢) انظر : الوسيط ٣/ ٢٥٩ – ٢٦٠ .

وانظر النسخة الخطيـة للوسـيط (الربـع الثالـث) لوحـة (٥٨/ أ – ٥٩/ أ) المحفوظـة في قسـم المخطوطات بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة تحت رقم ٤٤١١ .

وبين النسخة المطبوعة وبين الخطية فروق ، ونقل المؤلّف يظهر أنَّه عن هذه النسخة بتصرُّفٍ يسير .

(٣) سورة الحج ، آية : ٣.

(٤) أخرجه ابن جرير : جامع البيان ٩/ ١٠٩ رقم ٢٤٩١٨ . والسيوطي : الدر المنثور ٦/ ٨ وعزاه لابن جرير ، وابن المنذر.

(٥) أبو جهل عمرو بن هشام بن المغيرة ، كان يُكنى أبا الحكم ، قُتِلَ في معركة بدر سنة اثنتين من الهجرة . سيرة ابن هشام ١/ ٢٦٥ ، ٦٣٤.

(٦) سورة الحج ، آية : ٥.

هذا احتجاج على العالم بالبدأة الأولى ، وضرب الله تعالى في هذه الآية مثلين إذا اعتبرهما الناظر جوَّز في العقل البعثة من القبور ، ثُمَّ ورد خبر الشرع بوجوب ذلك ووقوعه . و (الريب) : الشك .

وقوله تعالى : ﴿ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ﴾ يريد : آدم ، ثُمَّ سلَّط الفعل عليهم من حيث هُم ذُريّته .

وقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ﴾ : يريد المني الذي يكون من البشر، والنُّطْفة تقع على قليل الماء وكثيره ، وقال النقَّاش : " المراد نطفة آدم " .

وقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ﴾ : يريد من الدم ، تعود النطفة إليه في الرحم ، أو المقارن للنطفة ، و" العلق " : الدم العبيط ، وقيل : العلق ؛ الشديد الحمرة ، فسمي الدم لذلك .

وقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ ﴾: يُريد بضعة لحم على قدر ما يمضغ .

وقوله تعالى : ﴿ مُخَلَّقَة ﴾ معناه : متمَّمة البنية ، ﴿ وَغَيْرَ مُخَلَّقَةٍ ﴾ غير متممة ، أي تستسقط ..

وقوله تعالى : ﴿ لِنُبَيِّنَ ﴾ قالت فرقة : معناه لنبين أمر البعث ...

وقالت فرقة : ﴿ لنبين ﴾ معناه: بكون المضغة غير مُخَلَّقة، وطرح النساء إياها ، كذلك نبيّن للنَّاس أنَّ المناقل في الرحم هي هكذا ...](1) /. [٥٩]

---

(١) الكلام بين الحاصرتين ، نقلته من " المحرَّر " نظراً لسقوط لوحة كاملة من الأصل، والكلام قبلها وبعدها من " المحرَّر " ، وقد جريت في النقل على منهج المؤلّف في الاختصار بحذف القراءات ونحوها ممَّا اعتاد المؤلّف حذفه من النص الذي ينقله من " المحرَّر " ..

وقوله تعالى : ﴿ إِلَى أَجَلٍ مُسَمَّى ﴾ هو مختلف بحسب جنين جنين، فَثَمَّ من يسقط ، وثَمَّ من يكمل أمره ويخرج حياً .

وقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ﴾ : اسم الجنس ، أي : أطفالاً صغاراً. ﴿ ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُم ﴾ ، والأَشُدّ ثماني عشرة سنة إلى ثلاثين ، إلى غير ذلك .

﴿ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ ﴾

وهو حصول الإنسان في زمانةٍ واختلال قوة ، حتَّى لا يقدر على إقامة الطاعات .

وقد يكون أرذل العمر في قليل من السنّ ، بحسب شخصٍ مَّا لحقته زمانة .

فهذا مثال واحد يقضي للمعتبر به أنَّ القادر على المناقل المتقن لها، قادرٌ على إعادة تلك الأجساد التي أوجدها بهذه المناقل إلى حالها الأولى"[١].

[الدليل الحادي والعشرون] :

وقوله عزَّ وجلَّ : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟ ثُمَّ أَحْيَٰهُمْ ﴾[٢] .

قال ابن عبَّاس في راوية سعيد بن جبير : " يعني قوماً خرجوا فِراراً مِنَ الطاعون ، قالوا : نأتي أرضاً ليس بها موت ، فخرجوا حتَّى إذا كانوا

(١) المحرَّر الوجيز ١١/ ١٧٦ – ١٧٩.

(٢) سورة البقرة ، آية : ٢٤٣.

بموضع كذا ، قال لهم الله : موتوا ، فماتوا ، فمرَّ بهم نبيٌّ من الأنبياء، فدعا ربه / أن يحييهم ، فأحياهم وهم أُلُوفٌ ، حذر الموت" (١) . [٦٠]

وقوله : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ تفضَّل على هؤلاء بأن أحياهم بعد موتهم ، ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ﴾ انتهى من تفسير الإمام الواحدي رحمه الله تعالى (٢).

ومن تفسير الإمام ابن عطية ، في معنى هذه الآية الكريمة : قوله : ﴿ألـمْ تر﴾ ألم تعلم قصة هؤلاء فيما قال الضَّحَّاك : هي أنَّهم قومٌ من بني إسرائيل أُمروا بالجهاد ، فخافوا الموت بالقتل في الجهاد ، فخرجوا من ديارهم فراراً من ذلك ، فأماتهم الله ليُعَرّفَهُم أنه لا ينجيهم من الموت شيءٌ ، ثُمَّ أحياهم وأمرهم بالجهاد بقوله : ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ الله ﴾ الآية .

وحكى قوم من اليهود لعمر بن الخطَّاب رضي الله تعالى عنه : أنَّ جماعةً من بني إسرائيل وقع فيهم الوباء، فخرجوا من ديارهم فراراً منهم ، فأماتهم الله، فبنى عليهم سائر بني إسرائيل حائطاً، حتَّى إذا بليَتْ عِظَامُهُم، بعث الله حزقيل(٣) النّبيّ عليه السلام، فدعا الله فأحياهم له (٤) . / [٦١]

---

(١) * أخرجه ابن جرير : جامع البيان ٢/ ٦٠٠ رقم ٥٥٩٩ _ ٥٦٠٠ .
* أورده السيوطي في الدر ١/ ٧٤١ وعزاه لوكيع ، والفريابي ، وابن جرير ، وابن المنذر ، والحاكم .
(٢) الوسيط ١/ ٣٥٤.
(٣) حزقيل بن بوزى ، أحد القُوَّام الذين قاموا بأمور بني إسرائيل بعد يوشع .
د . ف . عبد الرحيم : الإعلام بأصول الأعلام ص ٨٤.
(٤) * أخرجه ابن جرير : جامع البيان ٢/ ٦٠١ رقم ٥٦٠٣
* أورده السيوطي في الدر ١/ ٧٤٢ ، وعزاه لابن جرير.

وقال السُّدّي : (**هُمْ أُمَّة قَبْلَ**[١] **واسط، في قريةٍ يقال لها "داوَرْدَان"**[٢]، **وقع فيها الطَّاعون**[٣] ، **وهم بضعة وثلاثون ألفاً، في حديثٍ طويلٍ، ففيهم نزلت الآية**)[٤] .

وقال قوم : (**إنَّهم فرُّوا من الطَّاعون**)[٥] : الحسن ، وعمرو بن دينار.

وحكى النقَّاش : أنَّهُم فَرُّوا مِنْ الحُمَّى[٦] .

وحكى فيهم مجاهد : أنَّهم لَمَّا أُحْيُوا رجعوا إلى قومهم يعرفون ، لكن سحنة الموت على وجوههم ، ولا يلبس ثوباً إلاَّ عاد كفناً دسماً[٧] حتَّى ماتوا لآجالهم التي كُتِبَتْ لهم[٨] .

---

(١) كذا ضُبِطَت في الأصل بسكون الموحدة ، وعند ابن جرير بفتحتها.

(٢) في الأصل (وردان) ، والتصويب من " المحرَّر " ، وجامع البيان .

وهي : بفتح الواو ، وسكون الراء ، وآخره نون ، من نواحي شرقي واسط ، بينهما فرسخ . انظر : ياقوت الحموي : معجم البلدان ٢/ ٤٣٤.

(٣) في " المحرَّر" : زيادة " فهربوا منه " بعد قوله : " وقع فيها الطاعون " .

وعند ابن جرير : " فهرب عامَّة أهلها " .

(٤) * أخرجه ابن جرير : جامع البيان ٢/ ٦٠١ رقم ٥٦٠٥ .

* وانظر : السيوطي : الدر ١/ ٧٤١ وعزاه لابن جرير ، وابن أبي حاتم ، وابن المنذر مطولاً ..

(٥) انظر : ابن جرير ، جامع البيان ٢/ ٦٠٣ رقم ٥٦١٢ – ٥٦١٥ عن الحسن وعمرو بن دينار .

والسيوطي : الدر ١/ ٧٤٣ عن الحسن .

وأخرجه ابن جرير عن ابن عباس برقم ٥٥٩٩ – ٥٦٠٠ ، والسيوطي في الدر ١/ ٧٤١ .

(٦)لم أقف عليه .

(٧) في الأصل : " سمّاً " ، والتصويب من " المحرَّر ، وابن جرير ، والدر ".

(٨) * أخرجه ابن جرير : جامع البيان ٢/ ٦٠٢ رقم ٥٦٠٦ .

وانظر : الدر المنثور ١/ ٧٤١.

وروى ابن جريج عن ابن عبَّاس أنَّهم كانوا من بني إسرائيل ، وأنَّهم كانوا أربعين ألفاً وثمانية آلاف ، وأنَّهُم أُمِيتُوا ثُمَّ أُحْيُوا ، وبقيت الرائحة على ذلك السبط من بني إسرائيل إلى اليوم ، فأمرهم الله بالجهاد ثانية ، فذلك قوله : ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ الآية (١) .

وهذا القَصَصُ كلها(٢) ليّنُ الأسانيد ، وإنَّما اللازم من الآية : أنَّ الله تعالى أخبر نبيه عليه السلام إخباراً في عبارة التنبيه والتوقيف عن قوم من البشر خرجوا / من ديارهم فراراً من الموت ، فأماتهم الله ، ثُمَّ أحياهم ، [٦٢] ليروا هم [وكلّ](٣) مَنْ خَلَفَ بعدهم أنَّ الإماتة هي من الله تعالى ، لا بيد غيره ، فلا معنى لخوف خائفٍ ، ولا اغترار مغترّ .

وجعل الله هذه الأُمّة مقدمة بين يدي أمره للمؤمنين من أُمَّة محمَّد ﷺ بالجهاد . هذا قول الطبري (٤) ، وهو ظاهر رصف الآية .

ولِمُورِدي القصص في هذه الآية زيادات اختصرتها لضعفها (٥) .

[الدليل الثاني والعشرون] :

وقوله تعالى : ﴿ مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴾ (٦) .

---

(١) أخرجه ابن جرير : جامع البيان ٢/ ٦٠٢ رقم ٥٦٠٨ .

* وأورده السيوطي في الدر ١/ ٧٤٣ ، وعزاه لابن جرير ، وابن المنذر .

(٢) في المحرر " كله ".

(٣) (وكل) : ساقطة من الأصل ، وأثبتها من " المحرر ".

(٤) انظر : جامع البيان ٢/ ٦٠٥.

(٥) المحرر الوجيز ٢/ ٢٤٥ – ٢٤٧.

(٦) سورة الكهف ، آية : ٥١.

من تفسير الإمام ابن عطية الضمير في ﴿ أَشْهَدْتُهُم ﴾ عائد على الكفار، وعلى النّاس بالجملة .

فتتضمن الآية الرَّدَّ على طوائف من المنجمين[١] وأهل الطبائع[٢]، والمتحكمين[٣] من الأطباء ، ومن سواهم مِنْ كُلّ مَنْ يتخوَّض في هذه الأشياء[٤]، ويتأوَّل هذا التأويل في هذه الآية ، وأنها رادّةٌ على هذه الطوائف، وذكر هذا بعض الأصوليين .

وقيل : الضمير في ﴿ أشهدتهم ﴾ عائد على ذريَّة إبليس ، فهذه الآية على هذا / تتضمن تحقيرهم . والقول الأوَّل أعظم فائدة[٥]. [٦٣]

[الدليل الثالث والعشرون] :

ومن تفسير الإمام ابن عطية في قوله تعالى : ﴿ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌۢ ﴾ .[٦]

---

(١) نسبة إلى التنجيم، وهو : الاستدلال على الحوادث الأرضية بالأحوال الفلكية ، والتمزيج بين القوى الفلكية، والقوابل الأرضية . انظر : ابن تيمية ، الفتاوى ٣٥/ ١٩٢.

(٢) نسبة إلى الطبيعة ، وهي : القوة السارية في الأجسام ، التي بها يصل الجسم إلى كماله الطبيعي. انظر : الجرجاني ، التعريف – ص ١٤٠ ، والمناوي التوقيف على مهمات التعاريف ٤٧٨.

(٣) نسبة إلى الحكمة: وهي علم يبحث فيه عن حقائق الأشياء على ما هي عليه في الوجود بقدر الطاقة البشرية. المناوي، التوقيف على مهمات التعاريف ص ٢٩١، وفي المعجم الوسيط ١/ ١٩٠ ذو الحكمة ، والفيلسوف، والطبيب " ج " حكماء .

(٤) في " المحرَّر " بعد قوله " الأشياء " قال القاضي أبو محمَّد : وحدَّثني أبي .. قال : سمعت الفقيه أبا عبد الله محمَّد بن معاد المهدوي بالمهدية يقول : سمعت عبد الحق الصقلي يقول هذا القول ، ويتأوَّل هذا التأويل في الآية ، وأنها رادة على هذه الطوائف ... ".

(٥) المحرَّر الوجيز ١٠/ ٤١٣.

(٦) سورة ق ، آية : ٣ – ٤.

قوله : ﴿ **بعيد** ﴾ معناه : بعيد في الأوهام والفِكر كونه ، فأخبر الله تعالى ردّاً على قولهم بأنّه يعلم ما تأكل الأرض من ابن آدم وما يبقى[١] منه ، وإنَّ ذلك في كتاب ، وكذلك يعودُ في الحشرِ معلوماً ذلك كلّه .

والحفيظ : الذي لم يفته شيء .

وقال الرماني : ﴿ **حفيظ** ﴾ : منيع أن يذهب بِبِلَىً ودُرُوسٍ .

وَرُوِيَ في الخبر الثابت : (**إنَّ الأرض تأكل ابن آدم إلاَّ عَجْب الذَّنَب ، وهو عظم كالخردلة ، فمنه يُرَكَّب ابن آدم**)[٢] .

وحفظ ما تنقص الأرض إنَّما هو ليعود يوم القيامة . وهذا هو الحق، ولو كان غيرها فكيف كانت تشهد الجلود ، والأيدي ، والأرجل على الكفرة ، إلى غير ذلك مِمَّا يقتضي أنَّ أجساد الدنيا هي التي تعود / ؟ [٣] . [٦٤]

(١) في المحرَّر " تبقى ".

(٢) سيأتي تخريجه ص ١٤٤.

(٣) المحرَّر الوجيز ١٥/ ١٦٢.

فصل من الاستدلال أيضاً
على بعث الأجسام بأعيانها

الذي هو الحق المستقيمُ بقدرة الله تعالى ، وأنَّه يُحيِي الموتى ، وأنَّه علـى كل شيءٍ قدير ، هذا كثير جداً لا يُحصى ، ويكفي منه ما ذُكِرَ ، وما سأذكُرُ إن شاء الله وبه أستعين .

(الدليل الرابع والعشرون) :

قوله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴾ [١] .

يريد : الموتى . قاله الجمهور [٢] .

[الدليل الخامس والعشرون] :

وفي الحديث الصحيح : (إنَّ الأرض لا تأكل لحوم الأنبياء والشهداء)[٣].

---

(١) سورة الانشقاق ، آية : ٤ .

(٢) انظر : المحرَّر ١٦/ ٢٦١.

(٣) د : كتاب الصلاة ، باب تفريع أبواب الجمعة ١/ ٦٣٥ ح ١٠٤٧ ، من حديث أوس بن أبي أوس .

*حم : ٤/ ٨ .

*جه : كتاب إقامة الصلاة ، باب فضل الجمعة ١/ ٣٤٥ ح ١٠٨٥ من حديث شدَّاد بن أوس .

وكتاب الجنائز ، باب ذكر وفاة النَّبِي صلّى الله عليه وسلم ١/ ٥٢٤ ح ١٦٣٦ .

*دي : كتاب الصلاة ، باب فضل الجمعة ١/ ٣٦٩ .

*قال الشيخ الألباني : " وإسناده صحيح ، وقد صحَّحه جماعة " . مشكاة المصابيح ١/ ٤٣٠ ح ١٣٦٢ . وانظر : الضعيفة ١/ ٢٣٧، وفضل الصلاة على النّبِيّ صلّى الله عليه وسلّم، بتحقيقه، رقم ٢٢، ٢٣.

[الدليل السادس والعشرون] :

وفي الحديث الصحيح قال رسول الله ﷺ : ((ما مِنْ مُسْلِمٍ يُكْلَم في سبيل الله إلاَّ جاء يوم القيامة وجرحه يَثْعُبُ دَمَاً، اللون لون الدم ، والريح ريح مسك)) [١] .

ويروى : أنَّ الموضع الذي دُفِنَ فيه الشهداء يوم أُحُد بين يدي رسول الله ﷺ ، جاءت السيول فكادت تكشف القتلى ، فبرَّح[٢] معاوية رضي الله عنه بعد أربعين سنة ، فجاء النَّاس يخرجون الشهداء ينقلونهم ، فأخرجوهم كما كانوا[٣]، فسبحان من بيده ملكوت / كلّ شيء وإليه تُرجعون، وقدرة الله **[٦٥]** سبحانه أعظم من ذلك كله ، يُبْقِي بدنَ من يشاء ويبعثه ، ويبعث الآخر بعد تفرُّق أجزائه وعظامه التي قد رجعت رميماً ، كما شاء وكيف شاء ، وهو المدبر الحكيم لا يعجزه شيء .

[الدليل السابع والعشرون] :

وفي الحديث : قال رسول الله ﷺ : ((رجلان من أُمَّتي جثيا بين يدي ربي، فقال أحدهما : يا رب خُذْ لي مظلمتي من أخي ، فقال الله تعالى: أعط أخاك مظلمته ، فقال : يا رب ما بقي من حسناتي شيء ، فقال : يا رب

---

(١) * خ : كتاب الذبائح والصيد ، باب المسك ٩/ ٦٦٠ ح ٥٥٣٣ عن أبي هريرة .
وفي كتاب الجهاد ، باب مَنْ خرج في سبيل الله ٦/ ٢٠ ح ٢٨٠٣ .
*م : كتاب الإمارة ، باب فضل الجهاد ٣/ ١٤٩٥ ح ١٨٧٦.

(٢) كذا.

(٣) انظر : ابن كثير ، البداية والنهاية ٤/ ٤٤.

فليحمل من أوزاري ، وفاضت عينا رسول الله ﷺ ثُمَّ قال : إنَّ ذلك اليوم يحتاج النَّاس إلى أن تُحْمَل عنهم أوزارهم .

ثُمَّ قال الله تعالى لِلْمُطالِبِ بِحَقّه : ارفع بصرك فانظر إلى الجِنَان ، فرفع فرأى ما أعجبه من الخير والنعمة . فقال : لمن هذا يا رب ؟ فقال : لمن أعطاني ثمنه ، قال : ومَنْ يملك ذلك يا رب ! قال : أنت . قال : بماذا ؟ قال : بعفوك عن أخيك . قال : يا رب فإني قد عفوت عنه ، فقال : خُذ بيد أخيك فادخل به الجنَّة . ثُمَّ قال رسول الله ﷺ:فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم))[1] / . [٦٦]

فالخصام لا يكون إلاَّ بين اثنين متعارفين ، وإن كانا غير متعارفين لم يحتجّ أحدٌ على أحد ولا يعرف من هو خصمه ولا طالبه .

[الدليل الثامن والعشرون] :

وقوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ﴾ [2] .

قال ﷺ : ((ما منكم من أحد إلاَّ وسيكلمه الله ليس بَيْنَه وبَيْنَه تُرجمان ، فيقول : عبدي ما قَدَّمْتَ ؟ فينظر عن يمينه فلم ير شيئاً قَدَّمَه ، وينظُرُ عن

---

(١) * أخرجه الحاكم : المستدرك، كتاب الأهوال ٤/ ٥٧٦ وقال: هذا حديثٌ صحيحٌ الإسناد ولم يُخَرّجاه . قال الذهبي : عبَّاد ضعيف ، وشيخه لا يُعْرَف .

*ابن أبي داود : البعث ص ٣٥ رقم ٣٢ .

*ابن أبي الدنيا : حسن الظّن بالله ص ٧٥ رقم ١١٧ .

*السيوطي : البدور السافرة ص ٢٩٣ بتحقيق مصطفى عاشور ، وعزاه إلى سعيد بن منصور ، والحاكم ، والبيهقي.

(٢) سورة الانفطار ، آية : ٦.

يساره فلم ير شيئاً قَدَّمَه ، فتستقبله النَّار ، فمن استطاع منكم أنْ يقي النَّار عن وجهه ولو بشق تمرة فليفعل)) (١) .

[الدليل التاسع والعشرون] :

وقوله تعالى : ﴿ قَالُواْ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ﴾ (٢) تقول لهم الملائكة: ﴿ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴾ (٣) .

وقيل : يقول لهم المؤمنون ذلك (٤) .

قال الإمام الغزالي في عقيدته : "والإيمان تصديقٌ بالله وملائكته وكتبه ورسله ، والآخرة ، وحشرها ، وعرضها ، وصراطها ، وميزانها ، ونحوه ، وبوجود الجنة والنَّار واليوم بلا فَنَاء ، وبالحوض ، والشفاعة ، وعذاب القبر، وفتنته ، وبإعادة بدنه وروحه وجزائها ، وبراءة عائشة " / . [٦٧]

هذا مختصر الإمام البلالي(٥) المصري رحمه الله .

---

(١) *خ : كتاب الرقاق ، باب من نوقش الحساب ١١/ ٤٠٠ ح ٦٥٣٩ .
وكتاب التوحيد ، باب كلام الرب عزَّ وجلَّ ١٣/ ٤٧٤ ح ٧٥١٢ من حديث عدي .
*م : كتاب الزكاة ، باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة ٢/ ٧٠٣ ح ١٠١٦ .
*ت : كتاب صفة القيامة ، باب في القيامة ٤/ ٦١١ ح ٢٤١٥ .
*جه : المقدمة، باب فيما أنكرت الجهمية ١/ ٦٦ ح ١٨٥ . وكتاب الزكاة ، باب فضل الصدقة ١/ ٥٩٠ ح ١٨٤٣ .
*حم : ٤/ ٢٥٦ ، ٣٧٧ .

(٢) سورة يس ، آية : ٥٢.

(٣) سورة يس ، آية : ٥٢.

(٤) ذكر ابن جرير فيمن يقول ذلك ، قولين : أحدهما : أهل الإيمان . والآخر : أنهم الكفار أنفسهم ، ثُمَّ قال: والقول الأوَّل أشبه بظاهر التنزيل . جامع البيان ١٠/ ٤٥١.

(٥) لم أقف على ترجمته ولا مختصره هذا، وكلام الغزالي هذا راجعه في: قواعد العقائد ص٦٣، وما بعدها، بأوسع منه.

[الدليل الثلاثون] :

وقوله عزَّ وجلَّ : ﴿ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ۝٣٤ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ۝٣٥ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ۝٣٦ لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ۝٣٧ ﴾ (١) .

[الدليل الحادي والثلاثون] :

وقوله : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ ﴾(٢) الآية .

[الدليل الثاني والثلاثون] :

وقوله عزَّ وجلَّ : ﴿ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴾ (٣) .

[الدليل الثالث والثلاثون] :

وقوله عزَّ وجلَّ : ﴿ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ ﴾ يعني من أهل الجنَّة ، ﴿ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴾ (٤) : أخاً له في الدنيا كان ينكر البعث ، وهو قوله: ﴿ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ﴾ (٥) مجزيون ومحاسبون، وهذا استفهام إنكار. ثُمَّ قال المؤمن لإخوانه في الجنَّة : ﴿ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴾ (٦) في النَّار لننظر كيف منزلة أخي ، فقال أهل الجنة : إنَّك أعرف به مِنَّا فاطَّلِعْ أنْتَ، ﴿ فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِي سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴾(٧): في وسطها (٨).

---

(١) سورة عبس ، الآيات : ٣٤ – ٣٧.

(٢) سورة عبس ، آية : ٣٨.

(٣) سورة الزمر ، آية : ٦٨.

(٤)سورة الصَّافَّات ، آية : ٥١.

(٥) سورة الصَّافَّات ، آية : ٥٣.

(٦) سورة الصَّافَّات ، آية : ٥٤.

(٧) سورة الصَّافَّات ، آية : ٥٥.

(٨) معاني القرآن له : ٤/ ٣٠٤.

قال الزَّجَّاج:" وسواءُ كُلّ شيء: وَسَطَه" فقال له: ﴿تَاللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ﴾ [١]: قال مقاتل: والله لقد كدتَ أن تُغْوِيَني فأنْزِلَ منزلتكَ[٢].

والإرداء الإهلاك، ومن أغوى إنساناً فقد أهلكه، ﴿وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي﴾: لولا إنعامه عليَّ بالإسلام، ﴿لَكُنتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾ [٣]: معك / في النَّار. [٦٨]

قال الكلبي: ثُمَّ يُؤتَى بالموت فيذبح، فإذا أَمِنَ أهل الجنَّة الموتَ فرحوا وقالوا: ﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَىٰ﴾ [٤]: التي كانت في الدنيا ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ فقيل لهم: لا، فعند ذلك قالوا: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [٥]، قال الله تعالى: ﴿لِمِثْلِ هَٰذَا﴾ النَّعِيم، يعني: ما ذكره من قوله قوله: ﴿لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُوم﴾ إلى قوله: ﴿بَيْضٌ مَكْنُون﴾[٦] ﴿فَلْيَعْمَلِ العَامِلُونَ﴾ [٧]: وهذا ترغيب في ثواب الله بطاعته. هذا من تفسير الإمام الواحدي رحمه الله تعالى [٨].

[الدليل الرابع والثلاثون] :

قال الله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءُو قَالَ أَكَذَّبْتُم بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [٩] الآية.

---

(١) سورة الصَّافَّات، آية: ٥٦.

(٢) انظر: البغوي، معالم التنزيل ٤/ ٢٨.

(٣) سورة الصَّافَّات، آية: ٥٧.

(٤) سورة الصَّافَّات، الآيتان: ٥٨ – ٥٩.

(٥) سورة الصافات، آية: ٦٠.

(٦) سورة الصَّافَّات، الآيتان: ٤١ – ٤٩..

(٧) سورة الصَّافَّات، آية: ٦١.

(٨) الوسيط ٣/ ٥٢٦.

(٩) سورة النمل، آية: ٨٤.

[الدليل الخامس والثلاثون] :

وقوله عزَّ وجلَّ : ﴿ نَّحْنُ خَلَقْنَٰهُمْ وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ ۖ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَآ أَمْثَٰلَهُمْ تَبْدِيلًا ﴾ [١] .

عدَّد سبحانه النعمة على عباده في خلقهم وإيجادهم ، وإتقان بُنْيَتِهِم وشَدّ خلقهم[٢] . وأَسْرُ الخِلْقَةِ : اتّساقُ الأعضاءِ والمفاصل .

وقد قال أبو هريرة، والربيع : " الأَسْرُ : المفاصلُ، والأوصال" [٣] .

وقال بعضهم : " الأَسْرُ : القوَّة " [٤] .

ثُمَّ توعَّدهم تعالى بالتبديل ، واجتمع من القولين تعديد النعمة ، والوعيد بالتبديل / احتجاجٌ على منكري البعث ، أيْ : مَنْ هذا الإيجاد **[٦٩]** والتبديلُ في قدرته ، فكيف تتعذّرُ عليه الإعادةُ. هذا من تفسير ابن عطية[٥] .

. ومن تفسير الإمام الواحدي في هذه الآية الكريمة : ﴿ نَّحْنُ خَلَقْنَٰهُمْ وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ ۖ ﴾ الآية : ذكر الله قدرته فقال : ﴿ نَّحْنُ خَلَقْنَٰهُمْ وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ ۖ ﴾. الأَسْرُ : شِدَّة الخَلْقِ ، يُقَال : شَدَّ الله أَسْرَ فلانٍ ، أي : قوَّى خَلْقَه.

---

(١) سورة الإنسان ، آية : ٢٨.

(٢) في المحرَّر : " خلقتهم ".

(٣) * أخرجه عن أبي هريرة : ابن جرير ، جامع البيان ١٢/ ٣٧٥ رقم ٣٥٨٧٦ .

* أورده السيوطي في الدر ٨/ ٣٧٨ عن أبي هريرة ، والربيع ، وعزاه عن الأوَّل لابن جرير ، وعن الثاني لعبد بن حميد ، وابن المنذر.

(٤) أخرجه ابن جرير عن ابن زيد ، جامع البيان ١٢/ ٣٧٥ رقم ٣٥٨٧٧.

(٥) المحرَّر الوجيز ١٦/ ١٩٤.

قال الحسن:" يعني أوصالهم بعضاً إلى بعض، يعني: بالعروقِ والعصب"(١).

ورُوِيَ عن مجاهد أنَّه قال في تفسير (الأسر) : "الشَّرْجُ ، يعني موضعي مصرفي البول والغائط إذا خرج الأذى تقبضتا" (٢) .

﴿ وَإِذَا شِئۡنَا بَدَّلۡنَآ أَمۡثَٰلَهُمۡ تَبۡدِيلًا ﴾ : إذا شئنا أهلكناهم ، وأتينا بأشباههم ، فجعلناهم بدلاً منهم .

﴿ إِنَّ هَذِهِ ﴾ : السورة ﴿ تَذْكِرَةٌ ﴾ : تذكير ، وموعظة ﴿ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلاً ﴾ : بالإيمان والطاعة ، ﴿ وَمَا تَشَاؤون ﴾ : اتّخاذ السبيل ﴿ إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ الله ﴾ ذلكم .

قال الزَّجَّاج : " لستم تشاؤون إلاَّ بمشيئة الله " (٣) .

﴿ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ ﴾ / . قال عطاء : " مَنْ صَدَّق نَبِيَّه أدخله جنَّته" (٤). ﴿ وَالظَّالِمِينَ ﴾ المشركين من كُفَّار مكَّة ﴿ أَعَدَّ لَهُم عَذَاباً أَلِيماً ﴾ . [٧٠]

[الدليل السادس والثلاثون] :

وقال عزَّ وجلَّ : ﴿ يَوۡمَ تَشَقَّقُ ٱلۡأَرۡضُ عَنۡهُمۡ سِرَاعٗاۚ ذَٰلِكَ حَشۡرٌ عَلَيۡنَا يَسِيرٞ ﴾ (٥) .

---

(١) أورده السيوطي في الدر ٨/ ٣٧٨ ، وعزاه لعبد بن حميد.

(٢) انظر : البغوي ، معالم التنزيل ٤/ ٤٣١ .

والقرطبي : الجامع لأحكام القرآن ١٩/ ٩٨ . وفي الأصل (مضرة) بدل (مصرفي).

(٣) معاني القرآن ٥/ ٢٦٤.

(٤) لم أقف عليه عن عطاء.

(٥) سورة ق ، آية : ٤٤.

فسبحان مَنْ تَعَزَّزَ بالقدرة ، وقهر العباد بالموت ، ﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ (١).

[الدليل السابع والثلاثون] :

وقوله عزَّ وجلَّ : ﴿ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴾ (٢) .

(الدليل الثامن والثلاثون) :

وقوله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ ۚ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ وَمَا ﴾ ﴿ (٤٥) وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ﴾ (٣) .

قال الإمام الواحدي في تفسيره : ﴿ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ ﴾ : بتوبيخ بعضهم بعضاً، يقول كل فريقٍ للآخر : أنت أضللتني يوم كذا ، وأنت كسَّبتني دخول النَّار بما علَّمْتني وزيّنته لي(٤) .

فلو كان على غير خلقته في الدنيا لم يعرفه .... (٥) عليه ، فصحَّ أنَّ الله تعالى بقدرته يعيد ابن آدم بعينه / . **[٧١]**

وكذلك حق تخاصم أهل النَّار ، فسبحان مَنْ تَعَزَّزَ بالقدرة وانفرد بالإيجاد والخِلْقَة .

---

(١) سورة يس ، آية : ٨٢.

(٢) سورة الزمر ، آية : ٦٨.

(٣) سورة يونس ، الآيتان : ٤٥ – ٤٦ .

(٤) الوسيط ٢/ ٥٤٩.

(٥) كلمة غير مقروءة.

ومن الأدِلَّة الباهرة أيضاً على بعث الأجساد بأعيانها في هذه الآية الكريمة

[الدليل التاسع والثلاثون] :

قوله ﷻ: ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَـٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْـرَةً ﴾ (١).

قال ابن عبَّاس : " حتَّى نراه علانيةً " (٢).

وقال قتادة : " عِياناً " (٣)، ومعنى قوله : ﴿ جَهْرَةً ﴾ أي : غير مستتر عنَّا بشيء .

وقوله : ﴿ **فَأَخَذَتْكُم الصَّاعِقَةُ** ﴾ ، يعني : ما تَصْعَقُونَ منه ، أي تموتون .

قال المفسرون : إنَّ الله عزَّ وجلَّ أمر موسى عليه السلام أن يأتيه في ناسٍ من بني إسرائيل يعتذرونَ إليه من عبادة العجل ، فاختار موسى سبعين رجلاً من خيارهم ، وخرج بهم إلى طور سيناء، وسمعوا كلام الله عزَّ وجلَّ ، وكان موسى عليه السلام إذا كَّلمه ربه وقع على وجهه نورٌ ساطِعٌ لا يستطيع أحد من بني إسرائيل أن ينظر إليه، ويغشاه عمودٌ من غَمامٍ .

فلمَّا فرغ موسى/ وانكشفَ الغمامُ قالوا له : ﴿ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ ﴾: لن **[٧٢]** نُصَدّقَكَ ﴿ **حَتَّى نَرَى اللهَّ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُم الصَّاعِقَةُ** ﴾، وهي: نارٌ جاءت من

---

(١) سورة البقرة ، آية : ٥٥.

(٢) * أخرجه ابن جرير : جامع البيان ١/ ٣٢٨ رقم ٩٤٨ .

* وابن أبي حاتم : تفسير القرآن العظيم ١/ ١٧٠ رقم ٥٣٨ .

* وأورده السيوطي في الدر ١/ ١٧٠ وعزاه لابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم.

(٣) أخرجه ابن جرير : جامع البيان ١/ ٣٢٩ رقم ٩٥١ .

* وابن أبي حاتم : تفسير القرآن العظيم ١/ ١٧٠ رقم ٥٣٩.

السماء ، فأحرقتهم جميعاً. ﴿ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴾ يريد: ينظر بعضهم إلى بعض عند نزول الصَّعْقَةِ، وإنَّما أخذتهم لأنَّهم امتنعوا من الإيمان بموسى بعد ظهور معجزته، ولا يجوز اقتراح المعجزة عليهم ، فلهذا عاقبهم الله تعالى .

وهذه الآية تتضمن التوبيخ لهم على مخالفة الرسول ﷺ مع قيام معجزاته،كما خالف أسلافهم موسى عليه السلام ، مع ما أتى به من الآيات الباهرة ، والتحذير لهم أن ينزل بهم ما نزل بأسلافهم .

وقوله : ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [١] قال المفسرون: إنَّه لَّما هلكوا ، جعل موسى يبكي ويتضَرَّعُ ، ويقول : يا ربّ ماذا أقول لبني إسرائيل إذا أتيتهم وقد أهلكت خيارهم ﴿ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّٰىَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ ﴾ [٢]، فلم يزل يناشدُ ربَّه حتَّى أحياهم الله جميعاً رجلاً بعد رجلٍ ، وهم ينظرون / كيف يحيَون ، وذلك [٧٣] قوله: ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ أي : نشرناكم وأعدناكم أحياءً .

والبعث: إثارة البارك والنَّائم عن مكانه ، ونَشْرُ الميت كبعثِ النَّائم .

[قال قتادة: " بعثهم الله تعالى ليستوفوا بقية آجالهم وأرزاقهم ، ولو ماتوا بآجالهم لَمْ يُبْعَثُوا][٣] ، ولكن كان ذلك الموت عقوبة لهم على ما قالوا"[٤] .

---

(١) سورة البقرة ، آية : ٥٦.

(٢) سورة الأعراف ، آية : ١٥٥.

(٣) ما بين المعكوفتين ساقط من الأصل ، ومن الوسيط.

(٤) ابن جرير : جامع البيان ١/ ٣٣٢ رقم ٩٦١ مختصراً .
وأورده السيوطي في الدر ١/ ١٧٠ ، وعزاه لعبد بن حميد ، وابن جرير.

قال الزَّجَّاج : " الآية احتجاج على مشركي العرب الذين كفروا بالبعث، فاحتجَّ النَّبِيُّ ﷺ بإحياء مَنْ بُعِثَ بعد موته في الدنيا فيما يوافقه اليهود والنصارى فيه " (١) .

وقوله : ﴿ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ أي : نعمة البعث . هذا من تفسير الواحدي رحمه الله تعالى(٢) .

نجز والحمد الله حقَّ حمده ، وصلَّى الله على سيدنا ومولانا محمَّد نبيه وعبده وآله وسلّم ، على يد عبيد الله تعالى الرَّاجي مغفرة ذنوبه ، وستر عيوبه ، علاَّم غيوبه ، محمَّد بن محمَّد بن أبي الفضل محمَّد بن محمَّد بن أبي عمرو التميمي ، جَبَرَ الله تعالى حاله ، وأصلحه بمنه ، ضحوة يوم الجمعة ثاني شعبان المكرَّم سنة إحدى عشرة وثمانمائة ، عرَّفَنَا الله بركته وخيره / . [٧٤]

---

(١) معاني القرآن ١/ ١٣٨ (باختلافٍ يسير).

(٢) الوسيط ١/ ١٤٠ – ١٤١.

فهرس المراجع والمصادر

١ ـ القرآن الكريم .

٢ ـ الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية :

ابن بطة ، عبيد الله بن محمَّد العكبري ، بتحقيق : رضا نعسان معطي ط . الأولى ، نشر : دار الراية ، الرياض .

٣ ـ الأربعين في أصول الدين :

الرازي ، فخر الدين محمَّد بن عمر ، بتقديم : طه عبد الرؤوف سعد نشر : مكتبة الكليات الأزهرية .

٤ ـ الإعلام بأصول الأعلام :

د . ف . عبد الرحيم ، ط . الأولى ، ١٤١٣ هـ ، نشر : دار القلم.

٥ ـ الأعـلام :

الزركلي ، خير الدين ، ط . الثالثة .

٦ ـ البحر الزَّخَّار :

البزَّار ، أحمد بن عمرو ، بتحقيق : محفوظ الـرحمن زيـن الله ، ط. الأولى ، ١٤١٥ هـ ، نشر : مؤسسة علوم القرآن ، ومكتبة العلوم والحِكَم .

٧ ـ البداية والنهاية :

ابن كثير ، إسمـاعيل بن كثير ، تحقيق : أحمـد بن أبي ملح وزملائــه ، ط . الأولى ، ١٤٠٥ هـ ، نشر : دار الكتب العلمية ، بيروت .

٨ ـ البدور السافرة :

السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر ، تحقيق : مصطفى

عاشور ، نشر : مكتبة الساعي .

٩ ـ تاريخ بغـداد :

الخطيب ، أبو بكر أحمد بن علي البغدادي ، بتصحيح : السيد محمَّد سيد العرفي ، نشر : دار الكتاب العربي ، بيروت .

١٠ ـ التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة :

القرطبي ، محمَّد بن أحمد الأنصاري ، بتحقيق : أحمد حجازي السقا، ط . ١٤٠٠ هـ ، نشر : مكتبة الكليات الأزهرية .

١١ـ التسهيل لعلوم التنزيل:

أبو القاسم محمد بن أحمد بن جزي الكلبي الغرناطي ، نشر الدار العربية للكتاب .

١٢ـ تعظيم قدرة الصلاة :

المروزي ، محمَّد بن نصر ، تحقيق : عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، ط . الأولى ، ١٤٠٦ هـ ، نشر : مكتبة الدار بالمدينة المنورة .

١٣ـ تفسير القرآن العظيم :

ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل بن كثير، بتحقيق : عبد العزيز غنيم وزملائه، مطبعة الشعب ، القاهرة

١٤ـ تفسير الحسن البصري :

د . محمَّد عبد الرحيم ، جمع ودراسة ، نشر : دار الحديث بالقاهرة .

١٥ـ تفسير القرآن :

الصنعـاني ، عبد الرَّزَّاق بن همـام ، تحقيق : د . مصطفى مسلـم،

نشر : مكتبة الرشد ، الرياض .

١٦ـ تفسير القرآن العظيم :

ابن أبي حاتم ، أبو محمَّد عبد الرحمن بن أبي حاتم ، تحقيق : د . أحمد عبد الله العماري ، ط . الأولى ، ١٤٠٨ هـ . نشر : مكتبة الدار ، ودار طيبة ، ودار ابن القيم .

١٧ـ تفسير مجاهد :

أبو الحجاج مجاهد بن جبر ، تحقيق : عبد الرحمن الطَّاهر بن محمَّد السورتي ، نشر : المنشورات العلمية ، بيروت .

١٨ـ تقريب التهذيب :

ابن حجر ، أحمد بن علي العسقلاني ، تحقيق : عبد الوهاب عبد اللطيف ، نشر : مكتبة محمَّد سلطان النمنكاني ، المدينة المنورة .

١٩ـ الجامع لأحكام القرآن :

القرطبي ، محمَّد بن أحمد الأنصاري ، ط . الأولى ، ١٤٠٨ هـ .
نشر : دار الكتب العلمية ، بيروت .

٢٠ـ جامع البيان عن تأويل القرآن :

الطبري ، محمَّد بن جرير ، ط . الأولى ، ١٤١٢ هـ ، نشر :
دار الكتب العلمية ، بيروت .

٢١ـ جامع الترمذي :

أبو عيسى ، محمَّد بن سورة ، بتحقيق : أحمد محمَّد شاكر ، نشر : دار إحياء التراث العربي .

٢٢ـ حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح :

ابن القيم ، أبو عبد الله محمَّد بن أبي بكر ، تحقيق : يوسف علي بديوي ، ط. الأولى ، ١٤١٤ هـ ، نشر : مكتبة التراث .

٢٣ـ درء تعارض العقل والنقل :

ابن تيمية ، أحمد بن عبد الحليم ، تحقيق : محمَّد رشاد سالم ، ط . الأولى ، ١٣٩٩ هـ ، نشر : جامعة الإمام محمَّد بن سعود الإسلامية .

٢٤ـ الدر المنثور :

السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر ، ط . الأولى، ١٤٠٣ هـ ، نشر : دار الفكر .

٢٥ـ دلالة القرآن والأثر على رؤية الله تعالى بالبصر :

عبد العزيز الرومي ، ط . ١٤٠٥ هـ ، نشر : مكتبة المعارف بالرياض .

٢٦ـ الديباج المذهب :

ابن فرحون ، إبراهيم بن علي ، تحقيق : د . محمَّد الأحمدي أبو النُّور، نشر: دار التراث ، القاهرة .

٢٧ـ الرد على الجهمية :

ابن منده ، أبو عبد الله محمَّد بن إسحاق ، تحقيق : د . علي بن محمَّد ابن ناصر فقيهي ، ط . الأولى ، ١٤٠١ هـ .

٢٨ـ رسالة السجزي إلى أهل زبيد في الرد على من أنكر الحرف والصوت :

أبو نصر عبيد الله بن سعيد السجزي، تحقيق : محمد باكريم محمد باعبدالله، نشر مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة .

٢٩ـ الرسالة :

القيرواني ، ابن أبي زيد محمَّد ، نشر : دار الكتب العلمية ، بيروت ، مع شرحها " الثمر الدَّاني " .

٣٠ـ الرؤية :

الدار قطني ، علي بن عمر ، تحقيق : إبراهيم العلي ، ط . الأولى ، ١٤١١ هـ .

٣١ـ زاد المسير في علم التفسير :

ابن الجوزي ، جمال الدين عبد الرحمن بن علي ، تحقيق : محمَّد بن عبد الرحمن عبد الله ، ط . الأولى ، ١٤٠٧ هـ ، نشر : دار الفكر، بيروت .

٣٢ـ سلسلة الأحاديث الصحيحة :

الألباني ، محمَّد ناصر الدين ، ط . الثانية ، ١٣٩٩ هـ ، نشر : المكتب الإسلامي .

٣٣ـ سلسلة الأحاديث الضعيفة :

الألباني ، محمَّد ناصر الدين ، ط . الأولى ، ١٣٩٩ هـ ، نشر : المكتب الإسلامي .

٣٤ سنن الدَّرامي :

عبد الله بن عبد الرحمن ، نشر : دار الفكر .

٣٥ـ سنن ابن ماجه :

القزويني ، محمَّد بن يزيد ، تحقيق : محمَّد فؤاد عبد الباقي ، ط . ١٣٩٥ هـ . نشر : دار إحياء التراث العربي .

٣٦ـ سنن أبي داود :

سليمان بن الأشعث السجستاني ، تحقيق : عـزَّت عبيد الدَّعَّاس ، ط . الأولى ، ١٣٨٨ هـ ، نشر : محمَّد علي السيد حمصي .

٣٧ـ السُنَّة :

ابن أبي عصام ، أبو بكر عمرو بن أبي عاصم ، تحقيق : محمَّد ناصر الدين الألباني ، ط . الثانية ، ١٤٠٥ هـ ، نشر : المكتب الإسلامي .

٣٨ـ سير أعلام النبلاء :

الذهبي ، شمس الدين محمّد بن أحمد ، تحقيق : شعيب الأرناؤوط، ط. الثانية ، ١٤٠٢ هـ ، نشر : مؤسسة الرسالة .

٣٩ـ سيرة النَّبِيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم :

ابن هشام ، أبو محمَّد عبد الملك بن هشام ، تحقيق : مصطفى السقا ، وزملائه ، ط . الثانية ، ١٣٧٥ هـ .

٤٠ـ شرف أصحاب الحديث :

الخطيب البغدادي ، أحمد بن علي ، تحقيق : د . محمَّد سعيد خطيب أوغلي ، نشر : دار إحياء السُنَّة النَّبَوِيَّة .

٤١ـ شعب الإيمان :

البيهقي ، أبو بكر أحمد بن الحسين ، تحقيق : عبد العلي عبد الحميد حامد ، نشر : الدار السَّلفية في الهند .

٤٢ـ الصحاح :

الجوهري ، إسماعيل بن حمَّاد ، تحقيق : أحمد عبد الغفور عطَّار، ط. الثانية ، ١٤٠٢ هـ .

٤٣ـ صحيح البخاري :

أبو عبد الله محمَّد بن إسماعيل ، مع شرحه " فتح الباري " لابن حجر العسقلاني ، ط . ١٣٩٨ هـ ، نشر المطبعة السلفية .

٤٤ـ صحيح مسلم :

أبو الحسين مسلم بن الحجاج ، بترتيب : محمَّد فؤاد عبد الباقي ، نشر : دار إحياء التراث العربي ، بيروت .

٤٥ـ طبقات الشافعية الكبرى :

السبكي ، عبد الوهاب بن علي ، تحقيق : محمود الطناحي ، وعبد الفتاح الحلو ، ط . الأولى ، ١٣٨٣ هـ .

٤٦ـ طبقات المفسرين :

الداودي، محمَّد بن علي بن أحمد ، تحقيق : علي محمَّد عمر ، ط . الأولى ، ١٣٩٢ هـ .

٤٧ـ طوالع الأنوار :

البيضاوي، عبد الله بن أبي القاسم، مع شرحه للأصبهاني (مخطوط) .

٤٨ـ غاية النهاية في طبقات القراء:

شمس الدين أبو الخير، محمد بن محمد بن الجزري، عني بنشره : ج برجستراسر ، ط . الثالثة ، ١٤٠٢هـ، دار الكتب العلمية .

٤٩ـ الفوائـد :

ابن القيم ، شمس الدين محمَّـد بن أبي بكر ، ط . عمـر عبد الجبار، نشر : مكتبة النهضة بمكة .

٥٠ـ قواعد التحديث :

محمد جمال الدين القاسمي ، تحقيق وتعليق : محمد بهجت البيطار ، نشرـ: دار إحياء الكتب العربية .

٥١ ـ لسان العرب :

ابن منظور ، جمال الدين بن محمَّد بن مكرم ، نشر دار صادر ، بيروت .

٥٢ ـ لمع الأدلة :

الجويني ، عبد الملك ، أبـو المعـالي ، تحقيـق : د . فوقيـه حسـين، ط . الثانية ، ١٤٠٧ هـ ، نشر : عالم الكتب .

٥٣ ـ لوامـع الأنـوار :

السفاريني ، محمَّد بن أحمد ، نشر : مطبعة المدني .

٥٤ ـ مبادئ اللغة :

الإسكـافي ، محمَّد بن عبد الله الخطيـب ، ط . الأولى ١٤٠٥ هــ، نشرـ : دار الكتب العلمية .

٥٥ـ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد :

الهيثمي ، نور الدين علي بن أبي بكر ، ط . ١٤٠٢ هـ، نشر: دار الكتاب العربي .

٥٦ـ المحرَّر الوجيز :

ابن عطية ، القاضي محمَّد بن عبد الحق بن غالب ، تحقيق : المجلس العلمي بفاس ، ط . ١٣٩٥ هـ .

٥٧ـ محصَّل أفكار المتقدِّمين والمتأخرين :

الرازي، محمَّد بن عمر، تحقيق: د. حسين أتاي، ط . ١٤١١ هـ ، نشر: مكتبة التراث .

٥٨ـ مراتب الإجماع :

ابن حزم الظاهري ، نشر : دار الكتب العلمية .

٥٩ـ المستدرك :

الحاكم ، أبو عبد الله محمَّد بن عبد الله ، ط . دائرة المعارف النظامية حيدر آباد ، نشر : دار الكتب العلمية .

٦٠ـ المسند :

ابن حنبل، الإمام أبو عبد الله أحمد بن محمَّد، ط. الثانية، ١٣٩٨ ه ، نشر: المكتب الإسلامي .

٦١ـ مشكاة المصابيح :

التبريزي، محمَّد بن عبدالله الخطيب، تحقيق: محمَّد ناصر الدين الألباني، ط . الثالثة ، ١٤٠٥ هـ، نشر المكتب الإسلامي ، بيروت .

٦٢ـ مشكل القرآن :

ابن قتيبة ، أبو محمَّد عبدالله بن مسلم الدينوري ، نشر وشرح : السيد أحمد صقر ، ط . الثانية ، ١٣٩٣ هـ .

٦٣ـ معالم التنزيل :

البغوي ، أبو محمَّد الحسين بن محمَّد الفرَّاء ، تحقيق : خالد عبدالرحمن العك ، وزميله ، ط . دار المعرفة ، بيروت .

٦٤ـ معجم البلدان :

الحموي ، ياقوت ، نشر : دار صادر ، بيروت .

٦٥ـ المعجم الفلسفي :

د . جميل صليبا ، ط . ١٩٨٢ م ، نشر : دار الكتاب اللبناني .

٦٦ـ معاني القرآن :

الأخفش ، سعيد بن مسعدة البلخي ، تحقيق : عبد الأمير محمَّد أمين الورد . ط . الأولى ، ١٤٠٥ هـ .

٦٧ـ معاني القرآن وإعرابه :

الزجَّاج ، أبو إسحاق إبراهيم بن السري ، تحقيق : د . عبدالجليل عبده شلبي ، ط . الأولى ١٤٠٨ هـ ، نشر : عالم الكتب ، بيروت .

٦٨ـ معاني القرآن :

الفرَّاء ، أبو زكريا يحيى بن زياد ، تحقيق : محمَّد علي النَّجَّار .

٦٩ـ معجم مقاييس اللغة :

ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس ، تحقيق : عبدالسلام محمَّد هارون، نشر : دار الكتب العلمية ، إيران .

٧٠ـ مفتاح دار السعادة :

ابن القيم ، محمَّد بن أبي بكر ، نشر : دار الكتب العلمية ، بيروت .

٧١ـ المِلَل والنِّحَل :

الشهرستاني، محمَّد بن عبدالكريم ، تحقيق : عبدالعزيز محمَّد الوكيل ، ط . دار الاتحاد العربي للطباعة ، ١٣٨٧ هـ ، نشر مؤسسة الحلبي وشركاه .

٧٢ـ المنهاج في شعب الإيمان :

الحليمي ، أبو عبدالله الحسين بن الحسن ، تحقيق : حلمي محمَّد فودة، ط . الأولى ١٣٩٩ هـ .

٧٣ـ منهج القرآن في الدعوة إلى الإيمان :

د . علي بن محمَّد بن ناصر فقيهي ، ط . الأولى ١٤٠٥ هـ .

٧٤ـ المواقف في علم الكلام :

الإيجي ، عبدالرحمن بن أحمد ، نشر : عالم الكتب ، بيروت .

٧٥ـ الموطأ :

الإمام مالك بن أنس ، تصحيح وتعليق : محمَّد فؤاد عبدالباقي ، نشر: دار إحياء التراث العربي .

٧٦ـ نزهة الألِبَّاء في طبقات الأدباء :

ابن الأنباري ، عبدالرحمن بن محمَّد ، تحقيق : د . إبراهيم السامرائي ط. الثالثة ، ١٤٠٥ هـ .

٧٧ـ نسب قريش :

الزبيري ، المصعب بن عبدالله ، نشر وتعليق وتصحيح : اليفي برفنسال . ط . الثالثة ، دار المعرفة .

٧٨ـ النشر في القراءات العشر :

ابن الجزري ، أبو الخير محمَّد بن محمَّد الدمشقي ، نشر : دار الكتب العلمية ، بيروت .

٧٩ـ نظم المتناثر من الحديث المتواتر :

الكتاني ، محمَّد بن جعفر ، ط . ١٤٠٤ هـ ، دار الكتب العلمية، بيروت .

٨٠ ـ النَّهاية في غريب الحديث :

ابن الأثير ، أبو السعادات المبارك بن محمَّد ، تحقيق : طاهر أحمد الزاوي ، ومحمود الطناحي ، نشر : المكتبة العلمية ، بيروت .

٨١ ـ الوسيط في تفسير القرآن المجيد :

الواحدي ، أبو الحسين علي بن أحمد النيسابوري ، تحقيق : عادل أحمد عبدالموجود وزملائه ، ط . الأولى ١٤١٥ هـ ، نشر : دار الكتب العلمية .

٨٢ ـ الوسيط في تفسير القرآن المجيد :

الواحدي . (مخطوط) .

٨٣ ـ اليوم الآخر بين اليهودية والمسيحية والإسلام :

د . فـرج الله عبدالبـاري أبــو عطــا الله ، ط . الأولى ١٤١١ هــ، نشرـ : دار الوفاء للطباعة .

٨٤ ـ اليوم الآخر – القيامة الكبرى :

د. عمر سليمان الأشقر، ط . ١٤٠٧ هـ ، نشر : مكتبة الفلاح .

فهرس الموضوعات